الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جـامعة عبد الحميد بن باديس– مستغانم –



كـليـــة الآداب والفنون

قسـم الأدب العربي

تخصص الأدب المقـارن العالمي



دون كيشوت في الروايـــة الجزائريـــة

دراسة مقارنة في نمـــاذج

مذكرة تخرج ضمن متطلبات الحصول على شهادة ماستر في الأدب العربي

اعداد الطالبتين:

❖ بوكامل نعيمة

❖ مخلفي حبيبة

إشراف :

د.العربـي نريـمان

السنة الجامعية : 2019-2018

الإهــداء

الحمد لله الذي هديتنا لدين الإسلام وأنعمت علينا بسيد الأنعام وجعلتنا خير أمة أخرجت للناس، وإذا كان هنا شكر فهو الله عز وجل الذي منحني الصبر على إتمام هذه المذكرة المتواضعة فأهدي ثمرة نجاحي إلى صاحبي القلبين الطيبين المليئين بالحب والحنان أمي وأبي.

فأنا ثمرة جهدي إلى رحانة الدنيا ومنبع الحنان والتي بالحب سقتني وبالطيبة غمرتني وبالحنان أدفأتني على التي لا حياتي إلا بلقائها.

(أمي العزيزة)

كما أهديها إلى ربيع صدري إلى الذي كان سندا لي والذي أمنيته لا تتغيب الابتسامة عن شفاهنا وإعجابه بابنته سابقا التي وصلت إلى هذا المستوى.

(والدي العزيز)

كما أهديها إلى جميع اخواتي الأعزاء – فاطمة- ناصر –كمال- فتحي وإلى زوج أختي فاطمة العربي وإلى جميع الكتاكيب أية، منار، عبد الكريم، نهاد، ياسر.

وإلى جميع الصديقات كريمة، مريم، حبيبة،فاطمة وإلى كل من يعرف نعيمة من قريب إلى بعيد.

بـوكامـل نعيمة

الإهــداء

قال تعالى: " رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن اعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين".

فالحمد لك حتى ترضى، والحمد لك إذا رضيت، والحمد لله بعد الرضا أن وفقتني لإتمام هذا العمل المتواضع الذي أهدي ثمرته إلى:

أعز ما أملك في الدنيا الحبيبة الطاهرة الوفية، والملاك الصافي القريب لله سبحانه وتعالى، أمي الحبيبة.

من ناضل من أجلي لأرتاح وهيأ لي أسباب النجاح سعى جاهدا تربيتي وتعليمي أبي العزيز أسأل الله أن يحفظه ويرعاه.

إلى النجوم التي أهتدي بها واسعد برؤيتهم إخوتي: ياسمين، أمال، أنور، محمد سعيد.

إلى زوجي العزيز الذي لطالما شجعني وساندني لإتمام هذا العمل.

إلى من هم كالنور للعين الذين كانوا لي نعم الصحبة، فاطمة ونعيمة.

وإلى كل من ملأ قلبي ولم يسعه قلمي، إلى قارئ الأسطر وكل من اعرفهم.

مخلفــي حبيبــة

شكر وعرفان

تقربا منا لشكر الله، لأنه من لم يشكر الخلق، لم يشكر الخـالق.

نشكــر كل من:

❖ الأستاذة المشرفة " العربي نريمـان "

❖ الأستـاذة المساعدة " مسعودي فـاطمة الزهـراء"

على تقبلهما كل ما بادر منا.

مقدمة

تعد الأسطورة محاولة لفهم الكون بمظاهره المتعددة أو هي تفسير له، إنها كم سردي ونتاج وليد خيال و لكنَها لا تخلو من منطق معيّن، ومن فلسفة أوليّة ، تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد .

ويظهر عن العلاقة بين الأسطورة و الأدب مصطلح جديد هو "**الأسطورة الأدبية**"، ويثبت الكثير من الدّارسين إلى أنّ الإهتمام بالأسطورة الأدبية جاء متأخرا مقارنة بالأسطورة وهناك عدّة أنواع لأساطير الأدبية منها ما هو تاريخي أصنفت عليه المخيّلة الشعبية ومثال ذلك : "**كليوباترا**" ، "**جان دارك**" ، "**جميلة بوحيرد**" ... ومنها ماهو أسطوري "**بروميثيوس**"، "**أنثيجون** "...، وهناك أساطير ذات منشأ أدبي ..." **دون جوان**"، "**شهرازاد**" ،" **دون كيشوت**"..."

ويتميز حقل الأدب الجزائري على غرار بقية الآداب الأخرى بتوظيف الأساطير في أجناس أدبية مختلفة فبرز العديد من الروائيين الذين اهتموا بالأسطورة واستلهموها في نصوصهم ، ومثال دذلك : "الطاهر وطّار" في "**الحوات والقصر** " وفي " **الشمعة والدهاليز**" ... و "**والسيني الأعرج**" في " **فاجعة الليل السابعة بعد الألف** "، و " **نوار اللوز**" ، و"**ذاكرة الماء** "...إلخ .

وكان توظيف الأسطورة متنوعا ، فمن الأدباء من استحضر أساطير ذات منشأ أسطوري، وهناك من وظّف أساطير تاريخية ودينية ، وفريقا آخر وظف بعضا من العناصر الأسطورية بكل هذه الأصناف ، وخضع التنوع لثقافة المبدع ورؤيته وقناعاته .

ومن أبرز الأساطير التي استلهمها الكّتاب أسطورة "دون كيشوت" هذه الشخصية الأدبية التي اخترعها الكاتب الإسباني الشهير "**سرفانتس**" ، ووضعه على أنه كائن رمزي متغذي بفكرة سامية عن الفروسية "**ودون كيشوت** " هو الشخصية الطيّبة ، فهو سخي وأنيس وجلود على الأعمال ، وقد أضفى "سرفانتس" على شخصيته طابعا من العناد والتمرّد على الوضع

الراهن جعله يدفع ثمن جنونه الفردي ، وجعل الكلّ يتعاطف مع هذا الطيب الساذج إن صح التعبير .

و قد تجاوزت شهرة "**دون كيشوت**" شهرة مبدعة "سرفانتس" وتحوّل إلى شخصية أدبية متميّزة ومثيرة للجدل والاهتمام النقدي والإبداعي ، وهذه من أهم الأسباب التي جعلتني –كغيري– أتعاطف مع "دون كيشوت"، وأسقط شخصيته على المعاصرين، لأجد أن كل منّا يحمل هذا التمرّد إلا أن "**دون كيشوت** " كان أشجعنا جميعا .

وتعد هذه الشخصية من أبرز الشخصيات الأدبية التي لقيت حضورا في الرواية الجزائرية العربية، والرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، وحاول المبدعون استلهامها في ضوء متغيرات جديدة، إن على مستوى الموضوع أو الشّكل ، وتجلّى حضورها بصورة ملفتة للإنتباه عند "رشيد خوجة" و "كاتب ياسين " ، و"مالك حداد" ، وكذلك "واسيني الأعرج" و"عزالدين جلاوجي".

ومن جملة الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذه الاشكالية أهمها :

1. أن نلم بخصوصية رحلة هذه الشخصية الأدبية في الروايات الجزائرية بالفرنسية " Nedjma"
2. أن نعرف خصوصية التوظيف وأبعاده المختلفة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية [مصرع أحلام مريم الوديعة]
3. أن تتوقف عند جماليات التوظيف في النماذج موضوع الدراسة ، وأن نحلل الأبعاد التي وظّفت من خلالها " **دون كيشوت**".

ولمّا تمّ ذكره وسمنا الدراسة ب " **دون كيشوت في الرواية الجزائرية** " – «**دراسة مقارنة في نماذج** »

ويطرح هذا الموضوع قضايا متنوعة يمكن حصرها في :

1- "دون كيشوت " من النص إلى الى الرواية

2- "دون كيشوت" في الرواية الجزائرية .

3- كيف وظفت هذه الشخصية ؟ ولماذا ؟

4- "دون كيشوت " بين الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والرواية المكتوبة بالعربية (الثوابت و المتغيرات) .

ثم إنه لدراسة هذا النوع من الاشكال استوجب منا مقام البحث أن نقسم هيكله الخارجي إلى مقدّمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة،حيث تناولنا في المدخل : " **دون كيشوت أسطورة أدبية** "حيث تطرقنا فيها إلى التعريف بهذه الشخصية من خلال عمل "سرفانتس" "دون كيشوت" ، وكيف خلّقت هذه الشخصية إبراز الظروف التي ولد فيها هذا العمل، أضف إلى ذلك التوّقف عند ملامح هذه الشخصية وأهم صفاتها ثم تحوّلها من شخصية واهمة خيالية إلى أسطورة أدبية .

أمّا الفصل الأوّل عنوناه بـ " **تجلّي "دون كيشوت" في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية** تناولنا فيه تجلّي هذه الأسطورة في نجمة لكاتب ياسين .

وعنونا الفصل الثاني بـ " **تجلي دون كيشوت في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية** " لدراسة رواية واسيني الأعرج " مصرع أحلام مريم الوديعة ، وإبراز أبعاد التوظيف الأسطوري.

أمّا الفصل الثالث وعنوناه بـ" **دون كيشوت بين الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والرواية** الجزائرية **المكتوبة بالعربية [الثوابت و المتغيرات]**،وهي دراسة مقارنة ما هو موجود ومكتوب في المدونة العربية الجزائرية و المدونة الفرنسية.

لا نخفي حقيقة بأنّه قد صعب علينا إسقاط منهج معرفي على هذه الاشكالية ،وعليه حاولنا أن نقتفي كثيرا من المناهج التي حاولنا تطبيقها أو السير عليها ،بحكم أنّ طبيعة كل

فصل اقتضت منا أن نعود إلى منهج ،فهناك المنهج التاريخي والمنهج الوصفي و النقدي أو المقارن ولذلك لم نستطع أن نرسي على منهج واحد ؛فهي من ثمة دراسة متنوعة ومتعددة ما اقتضته طبيعة الهيكل الخارجي للرسالة.

ولا نخفي أيضا بأنّنا قد تضايقنا كثرا في إيجاد المصادر والمراجع لأن طبيعة الاشكال في الحقيقة لها حدان :حد تراثي محض و حد حداثي و الجمع بينهما ليس بالأمر الهين؛اللهم ما كان المشرفة الفاضلة به علينا في كثير من السياقات والتي استطاعت إلى حدّ ما أن تعيننا في اقتحام الاشكال و التعايش معه.

وفي الأخير ما عسانا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر و الامتنان إلى صاحبة الرعاية و التوجيه و الاشراف الدكتورة العربي نريمان التي لولاها بعد الله سبحانه وتعالى ما خرج هذا البحث العلمي في هذا الوجود بهذا الزي الذي نأمل أنّه قد استحق الجدارة و الاهتمام ،دون أن ننسى كل من عاوننا ووقف معنا معيرا وناصحا و مرشدا فلكم منا كامل الشكر و التقدير والاحترام .

مدخــــل

دون كيشــوت أسطــورة أدبيــة

1- الأسطورة الأدبية

2- دون كيشوت سرفانتس

3- دون كيشوت من النص إلى الأسطورة

الأسطورة الأدبية:

يعد مصطلح الأسطورة من المصطلحات الإشكالية التي اختلف الدارسون في التعال معها مفهوما ونوعا ومنهجا، وتعددت حولها الآراء بين الباحثين المحدثين والمعاصرين، ومرد ذلك ارتباطها بحقول معرفية متعددة كالفلسفة وعلم النفس والأنثروبولوجيا، وعلم الإجتماع، والثقافة والأدب...الخ.

1-مفهوم الأسطورة:

كلمة أسطورة مشتقة من الفعل (سطر)، وقد ورد في لسان العرب: "... يقال بنى سطرا، وغرس سطرا والسطر هو الخط والكتابة... قال الزجاج في قوله تعالى: " وقاو أساطير الأولين " معناه سّطره الأولون وواحد الأساطير أسطورة، كما قالوا: أحدوثة وأحاديث، وسطر يسطر إذا كتب..." [1]

وبذلك كانت الأساطير مرتبطة عند العرب بالحديث والكتابة، ويبدو أن الأسطورة صيغة المفرد لم تستعمل قديما " ... وكلمة أسطورة تشبه كلمة هستوريا Historia اليونانية، وتدلان معا على معنى القصة أو الرواية أو التاريخ، وتدل أيضا ما كتبه الأقدمون أو تركوه من روايات وحكايات، وهي في الأغلب أحداث خارقة للعادة وأباطيل..." [2]

ويتضح مما سبق أن الأسطورة ارتبطت بتاريخ الإنسان عبرت عن أحداثه، وصيغت في شكل حكايات وروايات، وحتى خرافات وأباطيل حين وصلت إلينا "...فالأسطورة كلمة يحوطها سحر خاص ... يعطي لها من الإمتداد ما لا يتوفر للكثير من الكلمات في أية لغة

---

[1] ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب بمكتبة الهلال، دار صادر لبنان، ط1، المجلد السابع (س.ط.ر)

[2] طلال حرب: أولية النص: نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1999 ص92

من اللغات...إذ هي توحي بالامتداد عبر الزمان والمكان...وتوحي بالعطاء المجنح للعقل الإنساني والوجدان وتوحي بالحلم حين يمتزج بالحقيقة" [1]

ولعل من أبرز الخصائص التي تميز الأسطورة [الامتداد عبر الزمان والمكان]، والتي جعلتها معروفة عند كل الشعوب لأنها تراث الإنسان حيثما كان ومع بعد المكان واختلاف الزمان يلتقي الإنسان بالإنسان عند نسيجها المتشابك الموحد، وهذه الأهمية والتميز من الصعب أن نكتفي فيها بالتعريف اللغوي القديم، ولذلك احتاجت وبفضل حيويتها الدائمة إلى نظرة أخرى، ومفهوم أعمق، حاول صياغته مجموعة من الباحثين والعلماء، يعرفها مارسيا إلياد Mercea Eliade بقوله: " حكاية مقدسة تروي حدثا جرى في الزمن الأول، أي زمن البدايات العجيب، وبعبارة أخرى فالأسطورة تحكي لنا كيف جاءت حقيقة جزئية مثل جزيرة أوجنس نباتي أو سلوك بشري، أو تعلق الأمر بمؤسسة وهي بالتالي: حكاية خلق دائما: كيف خلق شيء معين، وكيف بدأ يتجلى " [2] ويجمع الدارسون على أن هذا التعريف من أشمل التعريفات التي أحاطت بمفهوم الأسطورة، ذلك أنه تضمن أهم العناصر الواجب توفرها في الأسطورة ألا وهي القداسة والأحداث الخارقة، والشخصيات العجائبية تنشأ الأسطورة لمحاولة تفسير الظواهر الطبيعية الخارقة التي يعجز العقل والمنطق عن تفسيرها، فهي تهدف إلى وظيفة الإفهام، والإيضاح، يقول **بياربرونيل Pierre Brunel** في محاولة تعريف للأسطورة على أنها: " تنشأ من الغرابة، فالحالة الذهنية المناسبة لظهور الأسطورة هي حالة التساؤل، فعندما أجد نفسي أمام شيء لا أفهمه، ولا تفسره لي أية نظرية، ألجأ إلى نوع آخر من التفسيرات دون الاستعانة بالعقل، ولا بالتجربة العلمية ". [3]

---

[1] فاروق خو رشيد: أدب الأسطورة عند العرب، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص03.

[2] Eliade Mercea : Aspects du Myth, ed Gallimard, Paris, 1964, p 15.

[3] Pierre Brunel : mythocoritiques ,theories et parcours puf, paris, 1968, p 18.

وقد أصبحت الأسطورة بفل خصائصها ومميزاتها المنفذ للأديب والشاعر المجدد، فكل من يرغب في صناعة الجديد يتجه صوب الأسطورة لينهل من نهرها لأنها تمثل بالنسبة إليهم " النموذج الأول الذي يمتلئ بكل أسباب السحر، ويزخر بجلال المشاعر الإنسانية في طفولتها البريئـة، فالأديـب يحـاول أن يخلـص الأسـطورة القديمـة مـن مسـوحها، وأصـولها الدينيـة، ويسقطها على من يريد تصويره من مشاعر أو شخصيات أو أحداث دون الوقوع في حمأة المحاكاة". [1]

وفي هذا (الدليل) دليل واضح على إفادة الأدب في الأسطورة، فهو يحاول الإستفادة منها أملا في التجديد والتغيير، وابتعادا عن التقليد الذي يقتل النص الأدبي، فالأدب هنا يتغذى ويحيا بالأسطورة، فما هي العلاقة بين الأدب والأسطورة؟ وما هي حقيقة القول بوجود أسطورة أدبية؟

2-الأسطورة الأدبية:

" تعود علاقـة الأسـطورة بـالأدب إلـى أقـدم العصـور، لاشـتراكهما مـن جهـة فـي المـادة التبليغيـة أي الكلمـة، حتـى وإن اختلفت طبيعتهـا بينهمـا، ثـم صـدورها مـن جهـة أخـرى عـن مصدر واحد، أي المتخيل مع اختلاف طبيعتها أيضا " [2]

وإن بقي معرفة جوهر هذا الاختلاف عسير على البعض، فاكتفى باعتباره الأسطورة مجرد جنس أدبـي، فتكـون حسـبه الأسـطورة معرفـة بـالأدب، وهـو يحمـل هويتهـا بـين كلماتـه، لأنـه يعجز عن فصلها عنه أو التطرق إليها كحقيقة مقدسة.

---

[1] عبد العاطي كيوان: التناص الأسطوري في شعر إبراهيم أبو سنة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 2003، ص 12.

[2] عبد المجيد حنون: النقد الأسطوري، والأدب العربي الحديث، مجلة اللغة الععربية عن المجلس الأعلى للغة، الجزائر، العدد الرابع عشر شتاء 2005 ص 217.

ويشير نوثروب فراي (N.Frye) في حديثه عن علاقة الأسطورة بالأدب " إلى أن الأساطير تجد نفسها ثانية في الأدب بمجرد أن تنتهي علاقتها مع الاعتقاد كما حدث للأساطير الكلاسيكية في أروبا المسيحية..." [1]

ومع ذلك ترتبط علاقة قوية بين الأسطورة والأدب، فهما يتقاطعان في اللغة والخيال والسرد والتعبير عن هموم الإنسان، وإن اختلفا في وظائف تلك العناصر، فالأسطورة تغذي الأدب وهو يحافظ عليها، ويثريها، وقد وظف الأدباء الأساطير في نتاجهم الأدبي شعرا ونثرا، فكانت هذه الأسطورة تمد المبدع بمادة خام يستلهما للتعبير عن أفكاره، ووصف شخصياته، وصوره البلاغية، كما كان خادما للأسطورة – من جهته – حيث يسهم في نشرها واستمراريتها وخلودها.

لقد أصبح موضوع الأسطورة والأدب من أبرز الموضوعات التي تناولها النقاد والمقارنون، لما يجمعهما من صلات على اعتبار أنهما يرتبطان بمنتج واحد هو الإنسان ويتناولان مجمل الموضوعات المرتبطة به، وقد نشأ عن هذا الإرتباط بين الأسطورة والأدب مصطلح غزا الساحة الأدبية والنقدية وأثار اهتمام النقاد والمقارنين على حد سواء، وهو ما يعرف بالأسطورة الأدبية "Mythlittéraire".

ويبدو المصطلح الجديد وكأنه يجمع بين نقيضين، إذ تختلف الأسطورة عن الأدب بطابعها القداسي والجماعي، بينما يتميز الأدب بالفردية ولا يتسم أبدا بالقداسة. " وهناك خلاف آخر مرده إلى بعض الأساطير الأدبية منشأها غير أسطوري (جان دارك، كليوباترا..) وإنما أضيفت عليها هالة أسطورية عندما تداولتها الأجناس الأدبية، في حين أن

---

[1] Frey Northrop : Mytholyse, poétique, N° 8, Seuil, Paris, p45.

أساطير أدبيـة ذات أصـول أسطورية شـأن أسطورة أفروديت أ و إيزيس تبقى محافظـة على رمزيتها، وطاقتها الأسطورية، مهما تعددت النصوص الموظفة لها ". [1]

الأسطورة ذات المنشـأ الأدبـي هـي نفسـها الاسـطورة ذات المنشـأ الأسـطوري، ولـذلك تـم إدراجها ضـمن نوعين من الأسطورة " ولحسم هذا الخلاف يطلق بعض المقارنين الفرنسين على الصنف الأول اسم الأسطورة الأدبيـة باعتبارها إبداعا أدبيا لـه ملامـح أسطورية فقط، ويطلقون على الصنف الثاني مصطلح أو تعبير الأسطورة المؤدبة لأنها في أصولها أسطورة مقدسة ثم تدنست عندما تحولت نصا أدبيا ". [2]

وبـذلك أصـبح الحـديث عما يسـمى بالأسـطورة الأدبيـة، يبـين مصـطلح يستوعب " كـل مـا استطاع الأدب تحويلـه إلـى أسـاطير". كتلـك الشخصـيات التـي احتضـنها الأدب بعـد مـا أن كانت مادة اعتقاد وديانات قديمة مثل: [عشتار، أدونيس، برومثيوس]، وكذلك الشخصيات التاريخية الشهيرة [الإسكندر، قيصر، جانكيز قان، جان دارك] أو تلك الشخصيات الأدبية المحضة ذات الصيت العالمي [شهرزاد، فاوست، دون كيشوت...].

ولهذه الأساطير ذات المنشأ الأدبي أثر بـالغ في الإبداع الأدبي، فدون كيشوت كان من أميز النماذج الأدبية حيث أقحم فيه سرفانتس البعيد الخيالي داخل الإنسان بكل مقتضياته الرهيبـة والرائعـة فشـكل بـذلك نموذجـا أدبيا جميلا وخالـدا، وهـو مـا أدخلـه فـي دوامـة نقديـة ارتكزت أغلبها على مجموعة من الأسئلة: كيف كان البناء الروائي لدون كيشوت؟ وما مدى تـأثر دون كيشـوت بحيـاة سـرفانتس؟ وبعبـارة أدق: مـا هـي العلاقـة بـين دون كيشـوت وسرفانتس؟.

---

[1] نظيرة الكنز: أسطورة شـهرزاد فـي الروايـة العالميـة، دراسـة نقديـة أسـطورية مقارنـة فـي نمـاذج، أطروحـة دكتـوراه (مخطوط)، قسم اللغة العربية وآدابها، 2007 ص 20.

[2] André Siganos : Le minotaure et son Myth, P.U.F, Paris 1993, p32.

2/ دون كيشوت سرفانتس:

أ-سرفانتس مبدع الأسطورة الأدبية:

توج الأدب الإسباني والعالمي " بدون كيشوت " " Don Qujote " هذه الرائعة الأدبية التي أبدعها سرفانتس" S. Cervantes".. المولودة في مينة القلعة عام 1547، وقد كان الإبنن الثاني لرود ريجو سرفانتس والسيدة ليونودركورتيناس، وبعد ما أقامت الأسرة في مدينة فالادوليد [مدينة الوليد] مدة، انتقلت في منتصف الخمسينيات من القرن السادس عشر إلى مدريد لترحل عنها في مرحلة تالية إلى اشبيلية، وتعود في سنة 1666 إلى مدريد، حيث استقر بها المقام بصفة نهائية". [1]

نشأ سرفانتس وتعلم فيما بعد حت أصبح شاعرا متمكنا، وقد انخرط في الجيش بعد وجوده في روما أواخر سنة 1569، وهنا كان التحول في حياته، فقد خاض العديد من المعارك، وشاعت الأقدار أنه مرض بالحمى، ولكنه قاوم، واشترك في الحرب فأصيب بجراح، ثم وصلته منحة والية مكافأة له على أعماله وجرأته.

" وعقب ذلك منح إجازة للعدة إلى إسبانيا، وقد حمل معه رسالة توصية من كل من الدون خوان والدون دوسيسي، نائب ملك إسبانيا على صقيلية إلى الملك فيليب الثاني، ولما وصلت السفينة التي تقله إلى المياه المقابلة لشواطئ مارسيليا تعرضت لها سفن الأسطول الجزائري في 26 سبتمبر 1575 وأسِرته هو وشقيقه روديجو، وعددا من الإسبان، وأخذوا إلى مدينة الجزائر...". [2]

---

[1] حول حياة الكاتب أنظر: ميغيل دي شربانتس: كهف سلمنقة تر: علي إبراهيم، الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب دمشق العدد 106، 107 ربيع رصيف 2001 ص 247.

[2] إسماعيل العربي: نماذج من روائع الأدب العالمي، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1686، ص 165.

كانت هذه التجربة مفترق حياة سرفانتس، فقد عاش عبدا في الجزائر طيلة أسره، وتجاوزت مدة طويلة من الزمن، كان فيها الشاعر يحاول الهرب، ولكن في كل مرة محاولاته تبوء بالفشل، وفي هذه الأثناء وعلى الرغم من التوصيات التي حظى بها سرفانتس إلا أن داي الجزائر رفض إطلاق سراحه، لأنه كان يعلم قيمة هذا الشاعر الإسباني.

وتواصلت معاناة الشاعر داخل التراب الجزائري حتى جاء الفرج، وبعثت أمه بمبلغ من المال [500 دوقية] من أجل تحريره، وبالفعل حرر سرفانتس وعاد إلى إسبانيا ليجد نفسه في مأزق آخر، وهو ضعف مورده، لأن لم يعد لديه مورد للرزق سوى قلمه خاصة بعد وفاه أبيه.

أخذ سرفانتس يؤلف المسرحيات والقصص "... وفي سنة 1596 فاز الشاعر في مسابقة شعرية أقيمت في سرقسطية" [1] ثم واصل إبداعاته ومساهماته الفنية، وبعد ذلك انحصرت مساهماته في نظم بعض القصائد التي تحي بها المناسبات، ولكن شعره – على العموم – لم يكن يحظى برضا النقاد المعاصرين.

كان سرفانتس قد شرع في العمل في روايته الخالدة " **دون كيشــوت** " * منذ بداية التسعينات من القرن 15 وقد أنجز بعض أجزاء الكتاب أثناء إقامته في السجن، وحياته هذه لم تكن منفصلة عن ظروف إبداع الكتاب " فقد عاش سرفانتس حياة تعيسة، وكانت تسيطر على نفسه فكرة واحدة هي أن يصبح بطلا، كما كان ذلك حقا في معركة " لبانتو " في الجزائر، ولذا فقد ربح تقديرا " دون خوان" " دي أوستريا " وتقدير الملك حسان، " ما دام هذا

---

[1] إسماعيل العربي: نماذج من روائع الأدب العالمي، ج2، ص 169.

* الأصل الإسبانية "Don Qujote " ، وترجمت إلى العربية: دون كيشوت " و " دون كيشوط" " دونكيخوته".

الأقطـع الإسباني – يعنـي سرفانتس – فـي حوزتي فـإن جميـع المسيحيين الآخـرين هـم فـي حوزتي أيضا مع زوارقهم، وحتى المدينة بكاملها في حوزتي". [1]

وهذا ما يتوضـح المكانـة التـي كـانن يتمتـع بهـا سرفانتس فـي الأسـر فـي الجزائـر، مكانـة ضـيقت عليـه الخنـاق وجعلـتهم يحـاولون إذلالـه بتشـغيله عبـدا عنـد المغاربـة [المسـلمين] "ويضيف الدكتور [سوسا] إلـى ذلك بأن ثربانتس تذمر عذة مرات من أ سيده كانت لديه فكرة عظيمـة عنـه، وأنـه كـان يعتقد أنـه سيصبح مـن الفرسـان الإسبان الأوائل، فلذلك كـان ينهكه بالأعمال الشاقة، ويقيده بالسلاسل والأصفاد". [2]

ولّد هذا العذاب الشديد الغرادة في نفس سرفانتس، وجعلـه يتغلب علـى معاناتـه، فكانـت تسيره الأحـلام وتشد مـن أزره فـي الصـعاب، وتدفعـه للحيـاة مـن أجـل تحقيـق أهداف خياليـة، وحين عاد سرفانتس إلى بلده إسبانيا كان مفعما بالأمل والثقة المتولدة من رحم المعاناة، ظنا منـه أنـه سيحتفل بـه فـي بلـده كبطـل قومـي، أو سينال مكافأة أو وظيفـة تليـق بمؤهلاتـه وبمـا قدمه لبلده اسبانيا، وكان المسلمون والمسيح يعتقدون بأنه أفضل أسير ضمن خمسة وعشرين ألف اسباني بالجزائر، ولكن جل ما حصل هو إسناده مهمـة فـي وهران، فقال: " إنها لمهمـة خطيرة ولم يكن أحد ليقبلها" [3]

وفي ظل هذه الظروف الصعبة بدأت عملية الولادة لأفضل إنتاج أدبي " الكيغوتـه " والتـي حين ألفها لم يكن دماغه منهوك القوى، أو خائب الأمل فحسب، بل كا أيضـا فاشـلا كـافرا بالمثل العليا، متأملا أن يرتـاح عند كتابـه مؤلفـه علـى المستويين المعنوي والمـادي، وكانـت

---

[1] محمود صبح، النقد المعاصر لرواية دون كيخوته، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، الأردن، ص 1140.

[2] المرجع نفسه ص 1140

[3] المرجع نفسه 1141

هذه الرغبـة أقصـى مـا يتمنـاه، فقلبـه أملـى علـى مبتكراتـه وكلماتـه الشـوق العميـق القـوي إنـه الشوق الـذي يحس بـه القارئ فـي كل صـفحة مـن كتـاب " الـدون كيشوت " إن الأخذ بعين الاعتبار حياة ومعاناة سرفانتس يسهل فهم كتابه " دون كيشوت " فهما أوضح وأعمق " ... فليس هو كتاب محاطب لأسرار، ويلمح فيه من حين إلى حين إلى أشخاص عصره فحسب، ولكنـه ذكريـات حيـاة شربانتس الخاصـة وطموحـه وأحلامـه وشقاؤه، إن هـذا كلـه، يصـبغ كـل صـفحة مـن صـفحات الكتـاب، وإن دون كيخوتـه هـو ثربـانتس نفسـه مجـردا عـن الظـروف السطحية كلها ولكنه صعب الفهم والإدراك الخيالي، مرتفع فوق الزمان والمكان، حيث يلمس قلوب الذين حلقوا بأحلامهم فوق الوسائط التي يمتلكونها، وذلك لكي يحققوا أحلامهم ". [1]

وذلك ما يؤكد مرة أخرى أن العلاقة بين سرفانتس وكتابه علاقة وطيدة فلا يكفي أن يقال إن سرفانتس هو من ألف الدون كيشوت، بل يجب البحث في من هو الدون كيشوت بالنسة لسرفانتس؟ وهل يمكن القول إنها شخص واحد ؟

هذه التساؤلات كلها تعطي بعدا أعمق لهذا المؤلف الخالد، والمؤكد أن " دون كيشوت هي إبهام والتباس، إن جميـع القصـائد المـديح، مـا يعرف بفن الخطابـة التـي جـاءت مـن مواطينـه الاسبان لم تصلح لشيء إن جميع الأبحاث العلمية حول حياة ثربانتس لم توضح حتى الآن، ولاحق زاوية واحدة من الالتباس الجبار، هل يسخر سربانتس؟ وممن يسخر؟... فلا يوجد أي كتاب له قوة التلميح الرمزي للمعنى الشامل للحياة أعظم من هذا الكتاب، ومع ذلك ليس ثمة من كتاب يتضمن سوابق أقل وعلامات أقصر لتفسيره وتبيينه". [2]

ويؤكد الحديث عن هذه الرواية وفق تحليلات وتساؤلات مختلفة بأن تأليفها كان سيكرس سرفانتس نجاحا كبيرا، وبصورة عارمة "... حيث لم تكد تظهر الطبعة الأولى منه في مدريد،

---

[1] محمود صبح: النقد المعاصر لرواية دون كيخوته، ص 1141.

[2] المرجع نفسه 1125.

حتى نشرت له ثلاث طبعات مسروقة في لشبونة، وقد أعقب الطبعة الأولى الرسمية في مدريد طبعة ثانية، تلتها طبعة ثالثة صدرت في بلنسية بموافقة المؤلف سنة 1605" [1]
ومن ذلك فقد حققت هذه الرواية نجاحا كبيرا في اسبانيا ولم يكن نجاح هذا العمل على الصعيد الأدبي يعني ثروة، أو حتى دخلا محترما، كما تعودنا أن نفهم معنى النجاح في عصرنا هذا، على العكس " فإن الكاتب كان يعيش عقب ظهور هذا الكتاب في حالة تعيسة من الفقر – على الأقل – خلال الشهور الخمسة الأولى التي أعقبت ظهوره، كونه اضطر إلى استلاف مبلغ 450 ريال من ناشره شهر نوفمبر 1607 مما يدل على أن وضعيته المالية لم تتحسن إلا ببطئ، هذا إذا تحسنت على إطلاق – ونحن تعرف أن الشاعر كان يعيش في أواخر حياته من عطف أسقف طليطلة زكون ليموس (Lemos) الذي أصبح فيما بعد نائب للملك علي نايلي ". [2]

أما الكاتب فقد كان على عكس صاحبه شاع وذاع في الأوساط الأدبية داخل اسبانيا وخارجها، وعرف قراءة كبيرة لم يشهد لها مثيل لأي كتاب آخر، وهذا ما ساعد على التعجيل بترجمته إلى لغات أخرى " ... فمنذ سنة 1612 ترجم دون كيشوت للمرة الأولى إلى الإنجليزية، ثم ترجم للمرة الأولى إلى الفرنسية في سنة 1614، والكتاب كن قد طبع من قبل لغته الأصلية في بروكسال سنة 1607" [3]

---

[1] إسماعيل العربي: نماذج من روائع الأدب العالمي، ج 2، ص 270.

[2] المرجع نفسه، ص 170

[3] المرجع نفسه 171.

ومـع النشـاط القرائـي الـذي روج لـه " دون كيشوت " فقد غـادر صـاحبه الحيـاة بعدما حقق أحلامه في المجلد "... ولو أنه مات فقيرا معدما في 23 أبريل 1616 ودفن في مقبرة إحدى كنائس مدريد" .[1]

وبعد وفـاة سـرفانتس أخـذ دون كيشـوت يـدخل مجـال القـراءة، فاسـتقبله القـراء بمنظـورات مختلفـة، أحـدهم حبـذ فيـه منطـق السـخرية، وآخـرون تعـاطفوا مـع هـذا الطيـب السـاذج، لكـن الأكيد أن الكل أجمـع على أنهـا رائعـة عالميـة، فكيـف كـان البنـاء الروائـي لـدون كيشـوت؟ ومـا هي أبرز الأحداث التي عرضتها؟، وبطريقة أخرى ما هي قصة الدون كيشوت؟

ب–قراءة في نص الدون كيشوت:

إن الحـديث عـن شخصـية " دون كيشـوت " فـي الروايـة يجرنـا مباشـرة للحـديث عـن هـذه الرواية، وأهم الأحداث والشخصيات التي استعملها المؤلف، والتـي أعانـت البطـل حتـى يظهـر بهذه الصورة المقنعة، وينال هذه الشهرة الكبيرة.

" دون كيشـوت " فـي الروايـة هـو رجـل نحيـف طويـل، نـاهز (الخمسـينات) الخمسـين، برجوازي متوسط الحـال، يعيش فـي إحدى قرى إسبانيا إبـان القرن السادس عشر، لـم يتزوج، ومن كثرة قراءاته في كتب الفروسية كاد يفقد عقلـه، وينقطـع ما بينـه وبين الحيـاة الواقعيـة، ثـم يبلـغ بـه الهـوس حدا يجعلـه يفكر في أن يعيد دور الفرسان الجوالين وذلك بمحاكاتهم والسير علـى نهجهـم حـين يضـربون فـي الأرض، ويخرجـون لكـي ينصـرو الضـعفاء، ويـدافعون عـن الأرامل واليتامى والمساكين.

فأعد عدته للخروج، بأن استخرج من ركن خفي بمنزلـه سـلاحا قديما متآكلا خلفـه لـه آباؤه "... أول مـا فعلـه هـو صقل السـلاح الـذي ورثـه عـن والـد جـده، بعد أكلـه الصدأ زمانـا طـويلا

[1] المرجع نفسه، ص 171.

في زاوية البيت...فنظفه...لكنه عندما رأى خوذة ناقصة... استخدام الكرتون بمهارة وربط بعضه ببعض، وجعل منه خوذة أو على الأقل مظهر خوذة "[1] وحمل سلاحا وسيفا، وركب حصانا أعجف هزيلا، وانطلق على هذه الهيئة شأن الفرسان السابقين الذين انقرضوا منذ أجيال.

ثم تذكر وهو سائر في طريقه فرحا، أن الفارس الجوال لا بد له من تابع مخلص أمين، فهمد إلى فلاح ساذج من أبناء بلدته وهو " سانشو بانزا " وقال له دون كيشوت بين أشياء أخرى " أنه ينبغي أن لا يخشى شيئا حين يأتي معه، وأنه سيربح الكثير، ولن يخسر شيئا، أنه ربما أعطاه بدلا من القش والزبل الذين سيتركهما، حكم إحدى الجزر بهذه العودة وغيرها غرر سانشو بانزا فترك امرأته وأولاده وتبع جاره بصفته مرافقا له وحاملا لسلاحه"[2]

كان سانشو بانزا ضخم الجثة بعكس صاحبه دون كيشوت الطويل الهزيل، وتنشأ المرافقات المضحكة ابتداءا بمنظر الرجلين، ثم تستمر طوال هذه الرواية الكوميدية ذات الأسلوب الجميل والخفيف، وأول المعارك التي سعى هذا الفارس الوهمي إلى خوضها كانت ضد طواحين الهواء التي ظن أنها شياطين ذات أذرع هائلة، واعتقد أنها مصدر الشر في الدنيا، فهاجمها غير مصنع إلى صراخ تابعة وتحذيره، ورشف فيها رمحه، فرفعته أذرعها في الفضاء ودارت به ورمته أرضاً، ثم كانت معركة الأغنام الشهيرة، فلا يكاد دون كيشوت يبصر غبار قطيع من الأغنام يملأ الجو حتى يخيل إليه أنه زحف جيش جرار، فيندفع بجواده ليخوض المعركة التي أتاحها له القدر ليثبت فيها شجاعته ويخلد اسمه.

وتتجلي المعركة عن قتل عدد من الأغنام، وعن سقوط " دون كيشوت " نفسه تحت وابل من أحجار الرعاة، يفقد فيها بعض ضروسه، ولا يسلم سانشو المسكين خلال مغامرات سيده

---

[1] سرفانتس: دون كيشوت تر: صياح الجهيم، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص 09.

[2] المرجع نفسه ص 35

المزعوم من الأذى، فالبرغم من أنه يجب السلم، ويؤثر السكينة على القتال، فإن المشكلة تجيء من أن " دون كيشوت " بوصفه فارسا لا يباح له إلا قتال الفرسان، فإذا جاء العدوان أو الاستفزاز من مدنيين فقد أوجب أن يتكفل بهم سانشو، والنتيجة الحتمية لذلك أن يتحمل سانشو الكلمات والصفات والضرب بالعصى والرجم بالحصى، تماما كما حدث مع فريق من البالغين الذين احتك فرس دون كيشوت بأفراسهم أثناء مسيرته " ...لجؤوا إلى عصيتهم، وأحاطوا بالفارس وبمرافقه وأوسعوهما ضربا بتهمة ونشاط عجيبين، بما أنهم كانوا يفعلون ذلك بحماسة فقد انتهوا من العملية بسرعة، سقط سانشو أرضا من هجمتهم الثانية... ولم تنفع شجاعة دون كيشوت وبراعته، فقد أصابه ما أصاب مرافقه..." [1]

وهو ما حدث مرة أخرى عندما رفض دون كيشوت أن يدفع أجر مبيتهما في فندق على الطريق إذ توهم أنه بات ليلته في قلعة من قلاع الفرسان... وتتوالى مغامرات دون كيشوت الذي يجرجر وراءه تابعه المغلوب على أمره، وتتوالى هزائمه في كل المعارك التي خاضها، وهو في كل مرة يدرك أنه قد هزم بالفعل، ولكنه لا يفسر الأمر على الوجه الصحيح، فيرجعه إلى جنونه هو، وإنما يفسره على أن خصومه من السحرة قد أرادوا حرمانه من نصر مؤكد، فمسخوا بسحرهم العمالقة الشياطين إلى طواحين هواء، ومسخوا الفرسان المحاربين إلى أغنام.

ثم نجد " دون كيشوت " الذي جلد سانشو قبل قليل لاعتباره أن معلمه لا يعرف إن دولوسينيا ليست فائقة الجمال، إنه يعرف أنها مجرد فتاة قروية سوقية، لكنها أن تبقى كذلك، ينادى على سانشو تعال، يكفي أن أراها أنا جميلة وشريفة "... صاح دون كيشوت لنتكلم باحترام عن كل ما يخص السيدة دولوسينية، فهذه هي وسيلتنا للعيش..." [2]

---

[1] سرفانتس دون كيشوت تر: صياح الجهيم، ص 45.

[2] المصدر نفسه ص 122.

هنـا يـنقض دون كيشـوت علـى دمـى متحركـة، ويقطـع رأس الجنـود الـدمى ليمـنعهم مـن اعتقال عاشـق وأميرتـه، وهمـا هاربـان معـا إلـى أحضـان الحريـة، ثـم يعوض بعدئذ صـاحب الدمى بسخاء لقاء " دين الشرف " هذا.

وفـي الأخير تبـرأ دون كيشـوت المحتضـر مـن " أشباح الجهل السواء " التـي جاءتـه مـن القراءة في كتبه البغيضة عن الفروسية، ويندم على شيء فقط هو عدم امتلاكه الوقت الكافي لقراءة كتب أخرى يمكن أن تنير الروح.

وبـالعودة للروايـة نلاحظ أن سـرفانتس جعـل كـل الشخصـيات مهيئـة لخدمـة بطلبـه " دون كيشوت " فهو الشخصية الأبرز، وقد صوره سرفانتس كإنسان تسلطت على عقله فكرة واحدة استعبدته، وجعلتـه أسيرا لهـا وهذه الفكرة هـي أنـه فـارس مغوار ألقى علـى عاتقه مهمـة إنقاذ العالم من الظلم والفساد، وهو غير قادر على التفكير بطريقة مغايرة لما عهده في الروايات التـي كـان يقرؤهـابنهم شديد، بـل أنـه يحـاول تطبيـق مـا بهـا مـن قيم ومثـل علـى العـالم الـذي يعيش فيه " وسرفانتس حريص على أن لا يجعل من بطله إنسانا مجنونا لا يستطيع التفكير، بل جعله قادر على إبراز الحجج وتقديم البراهين، وإن كانت المقدمات التي يبدأ منها خاطئة دائما " [1]

فقد حذر سرفانتس على أن يظهر دون كيشوت مسلوب العقل، بل إنسانا عادي في زمن غير عادي أي إنه كان يعيش أوهم سيطرت على عقله نتيجة الإكثار من قراءة الكتب.

و" دون كيشوت " بطل حقيقي لأن البطولة ليست من النجاح بل في المثابرة "... كم مرة أصاب الفشل الفارس ذو الوجه الحزين؟ عشرات المرات، ومع ذلك لم يكن يأبه الفشل، بل

---

[1] أميره حسن نويره: دون كيشوت وعنصر السخرية في الرواية الإنجليزية من القرن الثامن عشر، عالم الفكر، وزارة الإعلام الكويت، المجلد 13، العدد الثالث، ص 215.

تابع مسيرته ليكمل بطولته في الحق والخير والجمال من أجل عيون دولوسينية" [1] والتي جعلها ملهمة له "... ففي المحبة للمرأة يتأمل حفظ الذات، فتفرض بذلك ما هو جوهري على ما هو ظاهري محض، الشوق للخلود المرأة والمجد، وبما أنه لم يستطيع الديمومة بإنجاب أولاد منها، من لحم ودم، فقد بحث الخلود بواسطتها في مغامرات الروح" [2]

وبذلك كانت دوليسنية تمثل الدافع لدى دون كيشوت في بطولاته.

لم يكن لقارئ الرواية أن يغفل وجود شخصية مهمة رافقت البطل، وهي سانشو بانزا هذا الفلاح الساذج الذي سيره الطمع لمرافقة دون كيشوت، هذا الخادم الذي كان مناقضا لسيده، حتى أصبح يصعب أن نتخيل دون كيشوت بدون خادمه فهم يمثلان إلى حد كبير "...وجهين أساسين للطبعة الإنسانية، فإذا كان دون كيشوت يمثل العقل، فسانشو يمثل الجسد والغريزة، وإذا كان يعبر عن مثالية الإنسان غير الواقعية فإن سانشو يمثل فطنة الإنسان الغريزية التي لا تأخذ في حسبانها الأفكار المجردة، بل تسعى إلى إشباع الحاجات الأساسية للإنسان". [3]

ويمكن القول إن التناقض بين الاثنين يولد نوعا من السخرية الذي لا ينصب على واحد منها دون الآخر، فانشغال سانشو طوال الوقت يثير الكثير من الضحك عندما يوضع جنبا إلى جنب مع اللامبالاة غير الواقعية، بل غير الطبيعية التي يظهرها دون كيشوت حيال الطعام، كما أن شجاع دون كيشوت التي يمكن أن توصف بالتهور تتناقض وتتنافى مع جبن سانشو "... وإذا كان سرفانتس حريصا ألا يجعل من هذا الجبن دليلا على خسة سانشو بقد

---

[1] حنا عبود: من تاريخ الرواية – دراسة – من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002 ص 261–262.

[2] محمود صبح: النقد المعاصر لرواية دون كيخوته، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان الأردن ص 1123.

[3] أميرة حسن نويره: دون كيشوت وعنصر السخرية في الرواية الإنجليزية في ق 18 ص 216.

ما هو إشارة أو تنويها بالتصاق سانشو بالحياة وحبه الغريزي لها، كأن يحصل على فائدة ما أو يدافع على مكسب مادي ما يمكن أن يحققه..." [1]

ويولد التناقض بين دون كيشوت وسانشو نوعا من السخرية الضاحكة الفكاهة الطيبة التي أصبحت مرتبطة مرتبطا واثقا بالنموذج الذي قدمة سرفاتنتس في هذه العلاقة بين السيد والخادم ونجد أن الرواية في القرون الأخرى اقتبست الكثير من سرفانتس، ولكن العلاقة بين شخصيتين متناقضتين ومتقابلتين مثل تلك التي وجدت بين دون كيشوت وخادمه، كانت من أهم النواحي التي تركت أثرا في الرواية ذلك العصر.

كل هذه المميزات جعلت من دون كيشوت رواية فريدة، ارتبط نجاحها بصاحبها سلافانتس الذي عاش ظروف صعبة ومتعبة أسهمت بشكل أو بآخر في ولادة هذا النموذج الأدبي.

وقد غادر سرفانتس وترك مؤلفه يخوض عملية جراحية صعبة على أيدي النقاد، فتهافتت عليه الدراسات والأبحاث والتحاليل داخل اسبانيا وخارجها منذ تأليفه إلى اليوم، وهو ما جعله يرقى إلى أن يدخل نطاق الأسطورة الأدبية، فما هي عوامل تأسطر دون كيشوت؟ وكيف تحول من شخصية إلى أسطورة أدبية متجددة؟.

[1] المرجع نفسه، ص 216.

3/ دون كيشوت من النص إلى الأسطورة:

1- مميزات هذا العمل الأدبي:

إذا كان مولد الفن القصصي الإسباني، ومعه الأروبي يدين بالكثير للقصص العربي، فإن هذه المؤثرات العربية لم تزل تباشر نفوذها على التطور اللاحق للفن القصصي الإسباني حتى القرن السابع عشر، وقد كان أهم التيارات التي أسهمت في إنضاج الرواية الإسبانية، والارتقاء بها تيارات بارزات: "... الأول: قصص الفروسية العربية التي كانت شائعة في الأندلس بحكم الصراع الطويل على أرض هذه البلاد بين الإسلام والمسيحية، وهو صراع تميز بكثير من الفروسية الحقة، واشتد شغف الناس باسبانيا بهذه القصص حتى أصبحت غذاء الشعب الثقافي من خلال القرن السادس عشر، وأدى هذا إلى ضيق ذرع المثقفين بها".[1]

وتجلى السخط على هذه القصص التي غزت عقول الإسبان مدة من الزمن في كتاب سرفانتس الخالد دون كيشوت، والذي تضمن في صفحاته نقدا لاذعاً لهذه المؤلفات، ولكل ما فيها من خوارق ومبالغات.

أما " التيار الثقافي هو المقامات العربية التي كانت في الأصل ابتكارا شرقيا ظهر على أيدي بن دريد والهمذاني، وانتقلت المقامات إلى الأندلس منذ ظهورها، ونسج أدباء الأندلس على منوالها، ولسانا نشك في أنه كان لتلك مقامات الشرقية والأندلسية فضل كبير في ظهور فن قصصي جديد في إسبانيا المسيحية منذ منتصف القرن السادس عشر، ونعني به ما اصطلح تسميته بالرواية البيكارسكية " Norvela Picarexa "، أي قصص الشطارة

[1] محمود علي مكي: الفن القصصي المعاصر في إسبانيا، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد الثالث، العدد الثالث، 1972، ص 44.

والشطار وبطلها أشبه ما يكون ببطل المقامة هو شاطر محتال، يعيش في بيئة قاسية، ويستعين على الجوع والبطالة بالحيل وخداع البسطاء".[1]

فنستنتج من هذين التيارين أن الأدب القصصي الإسباني خلال العصر الذهبي تأثر كثيراً بالمؤثرات العربية حتى أنه قيل إن هذا القرن الذي شهد طرد بقية الشعب المسلم [الموريسكيين] كان بالذات أخصب فترة تمثلت فيها إسبانيا كل ما ورثته من عناصر الثقافة العربية طوال التسعة قرون ويتوج الفن الروائي الإسباني أخيرا بذلك العمل الفني الخالد في التاريخ الإنساني كله " دون كيشوت " لسرفانتس، وفيه يلتقي الاتجاهين السابقين فهو يعتبر أولا من كتب الفروسية لأنه كما صرح سرفانتس جاء كرد فعل على هذه الفترة [السخرية]، وفي الوقت نفسه علقت به عناصر كثيرة من أدب الرواية البيكاريسكية، وإن لم ينخرط في سلكها تماما.

وقد اعتبر عنصر السخرية من أهم الجوانب التي جعلت من دون كيشوت عملا متميزا فريدا، فارتفعت العديد من الأصوات التي تدافع عن الرواية، وترى أن السخرية التي استخدمها سرفانتس كانت ذات أثر كبير في القضاء على ظاهرة غير صحية في المجتمع الإسباني في عصره ألا وهي:

الإغراق في قراءة الروايات.

" وفي عام 1711، كتب شافتسبري Shofetesbury يقول: لو كنت مثل سارفنتس الاسباني واستطعت بنجاح يماثل نجاح هذا الكاتب المرح أن أقضي على هذا الشغف بالفروسية القوطية أو المغربية، لكنت هدأت بالا حتى ولو شاهدت نفسي عملي الساخر هذا

[1] محمود علي مكي: الفن القصصي المعاصر في إسبانيا، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد الثالث، العدد الثالث، 1972، ص 44.

يقابل بالاحتقار بعد أن حقق المراد منه، وحطم مردة العقول وحوشه وهو الغرض الذي من أجله كتب". [1]

ما كتبه سرفانتس، وهذه القيمة تركزت بقدر كبير على مقدرة هذا الكتاب على إحداث التغيير، وهي ميزة إضافية تضاف لهذه الرواية، أما أهم ميزة تصيغ رواية " دون كيشوت " هي أنها رواية إنسانية استطاع سرفانتس أن يجعلها، وبفضل محتواها صالحة لكل زمان ومكان، وهذا ما يركز عليه أحد النقاد الإسبان حيث يؤكد أنه " عندما يجتمع بعض الإسبان المتأثرين من بؤس ماضيهم ومن قساوة حاضرهم، ومن عدواة مستقبلهم الصلبة، تتنزل بينهم روح دون كيشوت، فتوحد الحرارة المذابة في شخصيته الغريبة بين تلك القلوب المتفرقة وتدخلها في خيط روحي كحبات عقد، وتسكب فيها مشاعر الوطنية، وتضع وراء مرارة شخصياتها ألما وطنيا مشتركا وقد كان يسوع يردد دائما في كل مرة تجتمعون سوية أكون معكم، غير أن الأخطاء أدت إلى أن ينظر إلى دون كيشوت من زاوية واحدة فقط هي بالواقع مجال للسخرية ". [2]

إن هذا النقد اعترف بقيمة الرواية، وببعدها الإنساني، وكذلك تركيز على أن للرواية أوجه عدة وأبواب مختلفة، وهو ما يوجب على النقاد التنويع في زاوية الرواية والتحليل، وعدم الاكتفاء بزاوية واحدة.

---

[1] أميرة حسن نويره: دون كيشوت وعنصر السخرية في الرواية الإنجليزية في القرن الثامن عشر، ص 209.

[2] محمود صبح: النقد المعاصر لرواية "دون كيخوته"، ص 1123.

2-أسطورة الدون كيشوت موضوعا أدبيا ونقديا:

أ-دون كيشوت في اسبانيا:

انطلق النقاد الإسبان في تعاملهم مع الدون كيشوت من زاوية المقارنة بين نظرتهم لهذا الإبداع الأدبي ونظرة هؤلاء النقاد الغربيين له، وهذا على حد قولهم "... كانت الكيخوته لهؤلاء فضولية، وألهية، ولم يكن مثل ما في نظرنا مسألة مصيرية، ولذلك تكلف الأعمدة الإسبان الأربعة من رجال الفكر والدراسة الذين برزوا خلال القرن العشرين، وتبوؤا الصدارة في هذا الحقل من البحث والنقد، وعلى التوالي: خوسيه أورتيغا أي غاسيتا José Ortega Ygasset [1883-1955]، والذي ألف تأملات في الكيخوته، وميغيل دي أونامونو

Miguel de Unamun [1864-1936]: ومن مؤلفاته كتاب حياة الدون كيخوته وسانشو، وقد أبدع أيضا في نقد هذا المؤلف راميرودي مائيثيو [1874-1936]: ونشر في سنة 1926 أشهر كتاب له وهو " دون كيخوته، دون خوان ودوليسينيا، وأما الناقد الرابع فهو خوسيه مرتينث رويث المعروف باسم آثورين José Au gusto trinidad Marting Ruis-Agorin [1873-1967] وهو صاحب كتابات كثيرة حول الدون كيشوت أهمها: " طريق دون كيخوته "، مع "الإذن من أتباع ثربانتس "، مع " ثربانتس " [1]

وكان هؤولاء الأربعة الفضل في تناول الشخصية من نظرة مقربة والتعامل مع الرواية من منظور تأملي وفلسفي، حاول خلاله أن يتعدى مذهب الواقعية ومذهب المثالية، فيما يسميه " فلسفة العقل الحيوي "، فأخذ النقد كعامل قومي، واعتبر ثربانتس أكبر معلم للأدب الإسباني، وميزته العقل الرشيد.

[1] محمود صبح: النقد المعاصر لرواية "دون كيخوته"، ص 1119.

أما ميغيل دي أونامونو، فتطرق إلى ما حدث لدون كيشوت مع مراعاة الماعز يقول "... ولعل ثمة من كان يعتقد أن دون كيخوته كان يدري بأن لكل مقام مقال، فهو عند ما خاطب الرعاة حدثهم في شؤون الماعز، ودلهم على طريقة التي يمكنهم بها أن ينقدو أنفسهم من الحضيض الذي يعيشون فيه، وهذا هو الذات ما كان فعله سانشو لو كان درى هذه الأمور، وكانت لديه القدرة على ذلك ولكن الفارس لا يصنع ذلك، إن دون كيخوته يدرك إدراكا كاملا أنه ليس ثمة إلا قضية واحدة وهي تجميع الناس على حد سواء" [1]. وفي هذا دليل واضح على أن الناقد يريد أن يثبت أن البطل ليس بمجنون، بل له مبرراته التي جعلته يخالف الواقع، ويعيش الخيال "... ذو النية السيئة ثربانتس ينعت الخطاب بقوله: إنه تفكير لا يجدي ليضيف بعد ذلك قائلا: إن رعاة الماعز أصغوا إليه مدهوشين " [2]

والحقيقة التاريخية التي لا بد من إقرارها أنه: بما أن دون كيشوت استطاع أن يجعلهم ينصتون إليه، وأذهلهم وأدهشهم بتفكيره، فإن هذا التفكير لا يمكن أن يكون عديم الجدوى، ودليل ذلك هو إكرامهم له، ويواصل دي أونامونو نقده للرواية حتى يصل في الأخير إلى نتيجة تثني على هذا العمل وتجعله خالد في الساحة الأدبية "... وكما علمنا الطيب إن أصول المجد لهي في المكان والزمان، هذا المجد هو ما يدوم من خلال أجيال، وينتشر في أراضي شاسعة، إن ماهو عالمي يشاكس ماله صفة الشمول، بقدر ما يكون المرء أكثر انتسابا لبلده وعصره بقدر ما يكون أكثر انتسابا لجميع البلدان، وجميع العصور". [3]

---

[1] المرجع نفسه ص 1129-1130

[2] محمود صبح: النقد المعاصر لرواية "دون كيخوته"- دراسة - ص 1130.

[3] المرجع نفسه ص 1134

-القراءة المعاصرة لدون كيشوت:

" في ذات مرة كتب الروائي الكولومبي الشهير " غابريال غارثيا ماركيز " إنه علينا أن نقرأ، ونعيد يوميا قراءة الدون كيشوت " [1]، وهذا يعني أن الكتاب الأشهر في العالم، الذي أصدره بانتس في جزأين مطلع القرن السابع عشر، والذي ترجم إلى عدة لغات، لا يزال بعد أربعة قرون من صدوره حاجة فكرية وأخلاقية في يومنا هذا نظرا لمضمونه الإنساني والنبيل لم ينتصر دون كيشوت ولكنه لم يمت أبدا، فهو " ...البطل الذي لا يموت كل التاريخ الذي أعقبه يدل على ذلك، وعدم انتصاره وخلوده أمرات حتميان فلا يمكن أن ينتصر على عصره فيه كل هذه الزناخة، بل ربما كلما ازدادت ظلامية العصور، ازداد توهجا وإشراقا، لقد أثبت أن النبلاء لا يموتون" [2] ولقد عرف سرفانتس الخير والسعادة منذ أن ولد السيد دون كيشوت من نفث قلمه، وعتدها ابتسمت له الحياة، وتيسرت له أموره، لكن الموت زاره بعد زيارته لدون كيشوت بعام واحد فقط " ... لو بقي حيا لشهد لنفسه أن بطله لا يموت، فقد أعيدت طباعته حتى قبل الحرب الكونية الأولى خمسمائة مرة في اسبانيا وحدها، ومئات المرات في انجلترا وفرنسا، ولا نعتقد أن لغة حية لم تعترف على دون كيشوت عشرات الأفلام والمسلسلات، وأفلام الكرتون تعرض دون كيخوته" [3]

وبذلك حققت الرواية أكثر ما يمكن أن يحققه أي عمل أدبي آخر، فالذي لا يتقن الإسبانية يقرأها مترجمة، والذي لا يعرف القراءة يشاهدها عبر شاشات السينما، وهذا كله

[1] نادية ظافر شعبان: شربانتس والقرءاة المدحية لرواية دن كيشوت، مجلة العربي، وزارة الإعلام الكويت، 2010، ص 126.

[2] حنا عبود: من تاريخ الرواية – دراسة – ص 164

[3] المرجع نفسه ص 146

أضاف شهرة وحياة للدون كيشوت، وهو ما ساهم بشكل كبير في تحوله من شخصية أدبية إلى شخصية متخيلة.

وقد أعيد قراءة " الدون كيشوت " في عصرنا، انطلاقا من دراسات أخرى أهملت بعض الأسماء والشخصيات التي حاول سربانتس أن يظهرها دالة على ما كان لا يستطيع التصريح به، حيث "... يشير الباحث أوغستين ريدوندو في كتابه " منهاج آخر لقراءة دون كيشوت " إلى أن ثربانتس استفاد بذكاء من ازدواجية معنى الاسم – المكان واللطخة ليطلقه على عنوان روايته العالمية وأن تعبير " Manchodolos " أي الملطخين، والذي كان يمكن أن ينعت به سرفانتس لتحدره من أجداد مسلمين كان تعبيرا متداولا في القرنين السادس عشر، والسابع عشر، ويرد باستمرار في القانون الاجتماعي للأحوال الشخصية الذي يتطرق لنقاء الدم في قشتالة الجديدة "[1]

ولما كان دون كيشوت لا يريد أن تذكر بداية اسم المكان الذي انطلق منه في جولة أولى... فهو كما يلاحظ " البروفسور ادوارد وغودوي القنطرة، يطل علينا في بداية الرواية في أجواء ضبابية غامضة مقنعا ماضيه أو متنكرا له، في زمن كان يبالغ فيه بتقدير الأنساب انطلاقا من إيديولوجيا " نقاء الدم" السائدة في عصر إلغاء الهوية الموريسكية وقمع الحريات الشخصية للموريسكيين أفراداً وجماعات ".[2]

ويمكننا أن نستخلص من هذا، أن هذه الضبابية، وهذا الغموض بالذات هما اللذان يعرفان يسرية الهوية الموريسكية لبطل ثربانتس، وسواء كان دون كيشوت موريسكي أو إسباني،

---

[1] نادية ظافر شعبان: شربانتس والقراءة المدجنة لرواية " دون كيشوت " ص 129.

[2] المرجع نفسه ص 129

المهم أنه خلق ليدافع على الإنسانية ومبادئها، وليتخذ موقفا من الظلم اللاحق به، تضامنا مع الأفراد والجماعات المختلفين عنه، والذين شاءت أقدارهم أن يكونوا مستضعفين.

الفصل الأول

تجليات دون كيشوت في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

- تجلي أسطورة دون كيشوت في Nedjma لكاتب ياسين

-أبعاد التوظيف الأسطوري في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

1)تجلي أسطورة دون كيشوت في Nedjma لكاتب ياسين:

يعد كاتب ياسين[1] من أبرز الروائين الجزائرين الذين تعلمو الفرنسية وأبدعو فيها وقد تبين كاتب ياسين موقفا متميزا في كتاباته، فهو يبحث عن الوطن الأم، الذي جسده في شخص امرأة سماها نجمة.

ملخص الرواية:

تعد رواية Nedjma من أهم الروايات التي جادت قرية كاتب ياسين ومن أشهرها عالميا، والتي صدرت سنة 1956 وطبعت عدة مرات، وترجمت إلى العربية في كثير من الطبعات، وسنعتمد في هذه الحراسة، على نسخة: [Entreprise de live.Alger.1986] وقد احتوت الرواية على 256 صفحة تدور أحداث الرواية حول أربع الشباب الجزائرين لخضر ومصطفى وبرشيد ومراد يجمعهم القدر فيروي كل منهم ذكريات، ويعبر عن أماله، واشترك الأربعة، في حب نجمة واختلفت العلاقة معها، لكن المؤكد أنها لم تتزوج بأي واحد منهم.

نجمة هي ابنة القبيلة من أب مجهول وقد صورت، كفتاة جزائرية بالغة الجمال، وذكية ومتمردة، وكانت محل طمع الكثيرين من الرجال الذين رأوها أو تعرفو عليها، وتتزوج من

---

[1] كاتب ياسين ولد بمدينة قسنطينة في 1929، بعد فترة قصيرة تردد أثناءها على القراتية ثم التحق بالمدرسة الفرنسية، وزاول تعلمه حتى 08 ماي 1945 سجن وعمره لا يتجاوز 16 وقبل وفاته واجه من خلال الحوادث سطيف في ذلك التاريخ واقع الاستعمار، وكان لذلك ابعد أثر في كتاباته ومنها Nedjma 1956.

تعرض في 28 أكتوبر 1989 بمدينة عزو نوبل ودفن في الجزائر لمعرفة المؤلف أنظر كتاب في جريدة منظمة اليونسكو عدد 130، 2009، ص03.

كمال الذي ربما كان أخاها، لم تكن نجمة مجرد امرأة استدعها " كاتب ياسين " وأوكل لها مهمة في الرواية ، لم يظهر كثيرا ولكن بارزا نجمة هي الجزائر في جمالها وتمردها.

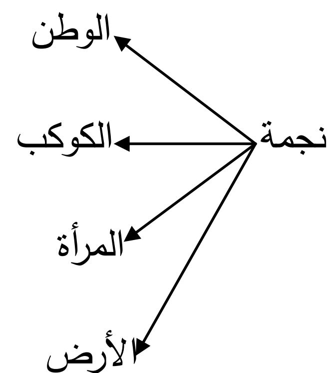
أما الأبطال الأربعة كانت نهايتهم قاسية تراوحت بين السجن، والعمل الشاق والحشين والدوامة الكحول، "...أما في ما يخص الشكل الفني في نجمة فقد كان قريب غاية القرب من الفن التشكيلي، وفي أحداث مراحله إذا هي تبدو كلوحة تجريدية، وبالتالي تخلو من البناء الكلاسيكي في أية صورة من صوره يجمع الماضي والحاضر والمستقبل في نجمة اجتماعا حيا مشخصا مماثلا.[1]

من خلال أحداث وقالب نجمة سنحاول أن تبرز تجليات أسطورة دون كيشوت كما يلي:

أ-العتبات النصية:

1)العنوان:

يساعد العنوان المتلقي في رسم الخطوط العريضة التي سيسلكها في قراءة النص وقد جاء العنوان في لفظة واحدة وهي " نجمة " وهي من نجم الشيء وطلع وظهر ونجم عن هذا الأمر كذا ونشأ وحدث: ينجم ← نجموما ← نجمة وأيضا نجمة هي تسمية لكوكب، أما المتوقع في هذه الرواية فإن نجمة هي اسم لامرأة جزائرية لأن اسم متداول النساء في الجزائر وعليه دلالات الاسم بين.



---

[1] حفناوي بعلي: مقاربة في خصوصية الأدب الجزائري الحديث جامعة عنابة ص 15.

Nedjma من النجوم ومن أبرز خاصية لها هي الجمال واللمعان والإضاءة أي أن الكل يعجب بنجمة وهي كما سبق الذكر اسم لامرأة بالغة الجمال، ولا توصف بكلمات، حتى لا يمكن لأي امرأة أن تضاهيها وهو ما نلمسه في موصفات دولوسينيا التي أحبها " دون كيشوت " والتي شبهها بالسماء والنجوم واعتبرها من أجمل نساء الأرض ولا شك أن هذا المقارب الدلالي يضفي عل النص الروائي خصوصية واقتراب من النص الجديد، اختيار عنوانا مؤقتا واضمر دور الذكر.

ب)التناص:

نشأ مصطلح التناص بين أحضان الدراسة اللسانية في أول أمره [1] غير أن عالم الروسي مخائيل باختن (M Bakhtne) هو الذي أولاه عناية خاصة وقام بتوضيحه في كتابه [فلسفة اللغة] ويقصد به الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص واستعادتها أو في محاكاتها لنصوص، أو الإجراء من نصوص سابقة عليها، والذي أفاد منه بعد ذلك العديد من الباحثين[2].

وقد تطور مصطلح التناص عند الغربيين ووضعو لها أصنافا وحددو له مفاهيم أما بالنسبة لمفهومه في الأدب العربي فقد عرفه محمود جابر عباس بإسهاب بأنه "... اعتماد نص من النصوص على غيره من النصوص النثرية أو الشعرية القديمة أو المعاصرة

---

[1] شربل داغر: التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، مجلة فصول الهيئة العامة للكاتب، المجلد 16 العدد الأول القاهرة 1997 ص 27.

[2] محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنياته وابدالاتها ج: الشعر المعاصر دار توبقال المغرب ط1 1990 ص 185/183.

والشفاهية أو الكتابة العربية أو الأجنبية ووجود صيغة من صيغ العلانقية والنبوية والتريبية والتشكيلية والأسلوبية بين النصين ".[1]

وحقل الدراسات النصية الأسطورية يعد التناص تقنية للكشف عن العلاقة بين الأساطير بمختلف أنواعها والنصوص الأدبية المبدعة ونتيجة لفاعلية هذه التقنية سنعتمد عليها في رصيد تجلي أسطورة دون كيشوت في رواية ولعل من أبرز أشكال التناص:

1-**التناص الأسطوري:** ويتضح من خلال جملة من الموضوعات:

أ-الشخصيات وخريطة العلاقة: [بين دون كيشوت وسانشو ورشيد وسي مختار تعد علاقة دون كيشوت بصديقة سانشو علاقة قوية جدا، تفوق الصداقة وحتى أن اعتمد في بنئها على العنصر المادي، أي طمع سانشو بانسا في أن يصبح حاكما، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الطمع شيئا فشيئا، وحل محله تقدير وود الصديق والمعلم دون كيشوت "... فهما يمثلان إلى حد كبير وجهين أساسيين للطبيعة الإنسانية، فإذا كان دون كيشوت يمثل العقل فسانشو يمثل الجسد أو الغريزة، وإذا كان دون كيشوت يعبر عن مثالية الإنسان غير الواقعية فإن سانشو يمثل فطنة الإنسان الغريزية التي تأخذ في حسبانها الأفكار المجردة بل تسعى إلى إشباع الحاجات الأساسية للإنسان". [2]

وتبدو العلاقة من الشكل الخارجي مضحكة، إذا ما تمت المقارنة بين "دون كيشوت" النحيل والطويل المنهلك القوي، وبين سانشو القصير والبدين، وتستمر الطرفة حينما ترى الفارس الفارس، يركب حصانا هرما بالكاد يحمله، وصديقه دائم التجوال على حماره الذي تربطه به مودة كبيرة.

---

[1] محمود جابر عباس: استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث علامات النقد، ج 46م 12 نادي جدة الأدبي، شوال 1423 هـ ص 266.

[2] أمير حسن نويرة: دون كيشوت وعنصر السخرية في الرواية الانجليزية في القرن الثامن عشر، عالم الفكر ص 216.

تظهر علاقة مشابه في رواية Nedjma بين الصديقين رشيد وسي مختار "... **الرجلان رشيد الذي يحمل نظارات سوداء اللون، وسي مختار الذي كان يرتدي قبعة مصرية طويلة بالنسبة لقوامه...فكان موضوع لا ينتهي سخرية والفضولية وكان يتمتعان بقوتهما**". [1]

وهذا التناقض بين الصديقين في الشكل المظهر الخارجي والغريب، وهو الذي يثير الكثير من الفضول خاصة، إذا كان بين الصديقين فرق في العمر، يوحى أن الأب يسير مع ابنه، فالأول في الستينات من عمره، بينما الثاني في حدود العشرين. "... كان الأصغر يبدو فلاحا بنظاراتيه الشمسين السوداوين مع لباسه نصف عسكري ونصف مدني، أما صديقه فيبدو ضعف سنة مرتين أو أكثر". [2]

كان رشيد خاضعا لي سي مختار، وكان دائم التعلق به بالرغم من أنه يكبره بكثير حتى في شكل العلاقة يوحى أنها قائمة عللا رابط عسكري يجعل الصغير يخضع للنفوذ الكبير.

ويتواصل حضور الأسطور، ويتجسد في العلاقة الوطيدة بين رشيد وسي مختار فهما قلما يفترقان. " وقد كان يظهر للجميع مع بعضهما البعض قلما نجد أحدهما دون اللآخر، ولا أحد يعرف ماذا يربط بين هذين الشخصيتين، خاصة أن أحدهما سنه ضعف مرتين لسن الآخر".[3]

وهو ما يحلنا إلى أن النص الأسطورة (دون كيشوت) التي تشبه فيها هذه العلاقة بعلاقة " دون كيشوت" وسانشو الذين خارجو إلى الفروسية معا وواصلا طريقهما إلى نهاية الرواية

---

[1] كاتب ياسين: نجمة: Entreprise, nauanle du live Alger,1986 p91.

[2] المرجع نفسه، ص 91.

[3] المرجع نفسه ص 91.

معا حتى توفي دون كيشوت "... قال دون كيشوت توكل على الله كل شيء وسوف يمنحك أفضل ما يلائمك قال سانشو سأكون كذلك يا سيدي وأن أفوض الأمر إليك، وأنت السيد الكريم الذي يعرف كيف يعطيني ما يلزمني على قدما يمكنني حمله". [1]

وبذلك فقد تتبع سانشو دون كيشوت دون أن يخالفه في أي شيء ودون أن يتركه، بالرغم من كل شيء، حضور رشيد وسي مختار ليس الأمر المثير وكذلك غيابهما نظرا الصديقين يواصلان جولتهما في قسنطينة وعنابة " لأن أكبر جفون في العالم صوان بنساق المرء إلى الموت دون أن يعرف لماذا وما يمكنك أن نجد رجلا واحدا سره أن يموت الكآبة هيا دع الفراش والمرض ولنذهب". [2] وتظهر المطاوعة للأسطورة، فمرض [دون كيشوت] ووقوف سانشو إلى جانبه ثم وفاته ثم تعبير عليه في رواية Nedjma من خلال علاقة رشيد وسي مختار وقد حاول سانشو الكثير من أجل الترفيه عن سيده وصديقه دون كيشوت إلا أنه لم يفلح " قاطعه سانشو وهو يبكي... وقال له لا يا سيدي لا تمت من غير ممكن أن نموت" [3] وبذلك كانت الصداقة على المال والطمع وهو ما عبر عنه، حينما بدأ حب سانشو لدون كيشوت قائما على المقابل المادي ليتحول مع سير الأحداث إلى حب وصداقة دون مقابل هذه الصداقة المعتمدة على التضحية والي ارتبطت نهايتها بالفراق الأبدي، ظهرت مجددا وتم تطويعها لتأسيس بنفس الشكل تقريبا بين رشيد وسي مختار الاختلاف، يمكن في أن هذين البطلين لم يجمعهما المال أو الطمع لأنهما في عصر مجتمع مختلف، والتشابه شمل النهاية نفسها بموت أحدهما:

-المرأة [نجمة ودولوسيا]

---

[1] سرفانتس: دون كيشوت تر: صياح جهيم ص 38

[2] سرفانتس: دون كيشوت تر: صياح جهيم ص 149/148.

[3] المصدر نفسه ص 159.

يصور كاتب ياسين نجمة على أنها امرأة جزائرية لم يعرف نسبها الحقيقي: " كنت أدرك ذلك، بالفعل نجمة هي ابنة لفرنسة، وبصفة دقيقة هي ابنة يهودية كما عبرت عنه أم كامل – لا لا نفسية – قبل الزواج مدفوعة بغيظ الحماه..." [1]

لم يؤثر الاختلاف في تحديد نسب نجمة على جمالها وسحرها فقد كانت في صغرها شديدة السمرة وأصبحت في مشابهها فائقة الجمال " أخيرا نجمة...نجمة العنيفة النادرة، الغولة ذات دم القاتم، قطرة الماء العكرة، نجمة التي تقدر أن يتنازع الرجال لا حبها فحس بل أبوتها...تلك هي نجمة كما يصفها الكاتب ونجمة هنا وفي كل أعمال كاتب ياسين هي الجزائرية" [2]

ارتبطت نجمة في كل الإبداعات كاتب ياسين بالجمال والتوحش معا، فقد كانت دائمة التمرد.

" لم أرقط مثلها في قسنطينة بهذه الأناقة، بهذا التوحش في شموخ غزالة لا مثيل لها حتى يخيل إليك أن المستشفى لم يكن إلا شركا وأن الأنثى الفاتنة على وشك أن تتهاوى على ساقيتها النحلتين المصنوعين لرمال الصحراء أو تنطلق هاربة بأقصى ما تستطيع لدعا أول حركة يتجرأ إنسان أن يباغتها بها". [3]

واعتبرت بذلك نجمة من أجمل نساء فشبهت بالغزالة لم تكن نجمة جميلة فحسسب، بل كانت جملية قوية وجريئة في الوقت ذاته، وهو ما أضفى عليها رونقا، زاد في جاذبيتها في

---

[1]كاتب ياسين: نجمة ص 103

[2] جلال العشري: الحرية والثورة في مسرح كاتب ياسين، مجلة المسرح الشركة القومية للتوزيع، العدد 43، القاهرة، 1967، ص 48.

[3] كاتب ياسين: نجمة: تر ملكة أبيض العيسى، ص06.

هذه النظارة والقوة اللتين تتمتع بهما " نجمة " يحل على حضور الأسطورة إلى صفات دولوسينيا إلى اعتبارها " دون كيشوت" لا مثيل لها بين نساء الأرض، فهي الأجمل والأرقى " ...وأنت يا شمس الجمال الإنساني الحية يا رائعة السماوات ومعجزة القرون، اننا الدواء الوحيد لهذا القلب ألم حزون الذي يعبدك " [1]

إضافة إلى الجمال والتميز هناك أشياء أخرى مشتركة بين نجمة ودولوسينا كالاعجاب الذي تناله كلاهما، فالأولى أحبها " دون كيشوت" كثيرا منها نجمة أحبها كل من لضر ومصطفى مراد وحتى رشيد، الذي تعرف عليها في المستشفى، وهنا تبرز المطاوعة حيث تم استخدام العنصر لأسطوري [حب دون كيشوت لدولوسينا].

وتطويعه لخدمة النص الجديد Nedjma فكان ذلك من خلال أن أطراف الحب واحد في النص الأسطوري هو دون كيشوت، ليتحول إلى أربعة أطراف في رواية نجمة وهم لخضر ومصطفى، رشيد، ومراد. وبدأت قصة حب بين رشيد ونجمة منذ أول لقاء بينهما، وهو الذي أعده والدها سي مختار في المستشفى ومنذ ذلك الوقت ظل رشيد دائم البحث عنها في مدينة عنابة قسنطينة " أنها امرأة تلك التي كان يلاحقها رشيد في عنابة، كان يتظاهر بأنه يجهل اسمها ولكنه لم يكن يستطيع مع ذلك أن يمتنع عن وصفها بصورة تجعل معرفتها على وجه الدقة أمراً يكاد يكون مستحيلا..." [2]

وبذلك اتضحت مدى معاناة رشيد وحبه لنجمة حتى إن كان يحول عنابة باحثا في الوجوه عن تلك المرأة التي رسخت في ذهنيه وبقيت صورتها نصب عينيه منذ أن رآها لأول مرة.

---

[1] سرفانتس: دون كيشوت تر: صياح جهيم، ص 132.

[2] المرجع نفسه ص 06.

أبعاد التوظيف الأسطوري في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

تنهي الرواية الفرنسية موضوع الدراسة إلى مراحل زمنية متميزة وعلى مستوى التاريخي أو الأدبي أبدعت الرواية التالية Nedjma 1956.

وهي مرحلة شهدت التغير والثورة وشهدت المعاناة، كذلك فاهتم كل من كاتب ياسين بإبراز خصائص الشعب الجزائري أثناء الاستعمار، من خلال تصوير جرائم فرنسا في تجسيدهم لمجازر 08 ماي 1945.

يعود استحضار أسطورة دون كيشوت إلى التقارب الجغرافي والتاريخي بين الجزائر واسبانيا وهو ما يبرز تاريخ الجزائر القديم الدولة الزيانية، حيث "... حيث كانت الدولة الزيانية في فترة 1517-1557 وقد وصلت إلى أقصى درجة من الضعف والانحلال فأخذ الأسبان يحتلون موانيها وأطرافها لاحتوائها في النهاية، وفق مخطط استعماري مدروس...فاغتنم الأسبان فرصة الاضطرابات وأقدمو على الاحتلال المرسى الكبير عام 1505..".[1]

البعد التاريخي:

رصدت رواية نجمة أحداث تاريخية مهمة، تمثلت في تاريخ قبيلة كليوت وتاريخ مدينة قسنطينة "... لم يبق أي أثر لقبلوت كل ما نعلمه أنه كان رئيسا لقبلتين في فترة سحيقة يصعب تحديدها خلال القرون الثلاث عشر التي مرت منذ وفاة الرسول وكل ما أعرفه تناهى إلى من أبي هناك احتمال كبير أن يكون " قبلوت " قد عاش في لجزائر في الشطر الأخير من حياته..." [2] ولم تقتصر الأحداث التاريخية المسترجعة عن ذلك بل عمد الكاتب

---

[1] مالك حداد: ليس في رصيف الأزهار من يجيب تر: ذوقان قرقوط ص 59.

[2] المرجع السابق ص 12.

ياسين أن يدون بروايته نجمة تاريخا قادما وهو ما جعله يعبر عن مجازر 08 ماي 1945 وما ألحقه الاحتلال الفرنسي من ضرر بالجزائرين.

أما في رواية دون كيشوت فقد اعمد سرفانتس على التصوير، مقاطعات اسبانية، وعبر عن زمن انقضى زمن الفروسية الذي أخبر بطله على أن يحياه من جديد مؤكدا على أن التاريخ سيحضر ليتغنى به ويستفاد منه إلا أنه لا يعود ليبقى ويعاش.

البعد الاجتماعي:

أما البعد الاجتماعي في رواية دون كيشوت فقد برز بتصوير أفة أخرى لا تقل خطورة وهي ظاهرة الاحتيال حيث من خلال متابعة، القارئ الأحداث التي مرت على دون كيشوت وصديقه سانشو، يلحظ مدى انتشار هذه الأفة في المجتمع الاسباني، تجلت بوضوح حينما قام المساحين بإقناع دون كيشوت حتى يفك أسرهم وبعدمها حدرهم لاذو بالفرار بل وعاد لسرقة حمار سانشو.

" من خلال صمت المشاعر الهائل، وسياحة ذهنه سمعها نقول، أني أحبك يا سيدي الماضي لم تكن مونيك تكذب "[1] وكانت الخيانة من أبرز المظاهر الفساد السائدة في مجتمع باريس.

إن هذين البعدين التاريخي والاجتماعي كاتب ياسين في هذا التوظيف الأسطوري هو ما يصادف على تجلي أسطورة دون كيشوت في الرواية الجزائرية الفرنسية اللسان، وهو ما يضعنا أمام تساءل آخر عن كيفية تجلي هذه الأسطورة في وجه الآخر من الرواية الجزائرية [المكتوبة بالعربية] ؟

[1] مالك حداد يس في رصيف الأزهار من يجيب تر: ذوقان قرطوط ص 75.

الفصل الثاني

تجلي دون كيشوت في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية

- تجليات دون كيشوت في رواية " مصرع أحلام مريم الوديعة" لوسيمي الأعرج

-أبعاد التوظيف الأسطوري في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية

بدأت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية تنتزع مكانتها الأدبية، وتثبت أقدامها في مكتبة السرد العربي، اعتمادا على ما حققته من مستوى عال في بنيتها، ولغتها واستخدامها كل الأساليب السردية المعاصرة، كي تعبّر عن بيئتها وعصرها وواقعها.

واستطاعت على الرغم من العقبات أن تقفز قفزات واسعة في عمرها القصير الذي لا يتجاوز نصف قرن حيث مع « **انفتاح النشر مع مصطلح الثمانينات حاول العديد من القصاصين معالجة الرواية مثل : واسيني الأعرج جيلالي خلاص، ومحمد علي عرعار، ومحمد مفلح ، و إسماعيل عموقات، وحبيب السائح ، و إبراهيم السعدي ... الخ، وقد أعطت رواياتهم الأدب العربي الجزائري نفسا جديدا ، والذي نلاحظه اليوم بفضل هذا التراكم من المؤلفات ، ذات النوعية هو أن الأدب الجزائري المكتوب بالعربية يسمو إلى مستوى الإنتاج الأدبي في المشرق ، إذ لم نقل مستوى الإنتاج العالمي الحديث الذي يقتبس الكثير من حيث الشكل و التقنية** » [1]

اعتمد كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية توظيف تقنيات جديدة واستعمال أساليب أخرى أسهمت في تجديد الرواية الجزائرية، حيث برز العديد من الكتاب الجزائريين الذين استثمروا نتاجات شعوب سابقة من أساطير وحكايات شعبية ورموز على غرار الطاهر وطار، واسيني الأعرج وآخرون ويعد توظيف الأسطورة في الرواية الجزائرية العربية تجديدا في أسلوب الرواية، وهذا ما يقرره واسيني الأعرج: " إن الرغبة في التجديد التي تحفزني دوما على تجاوز الواقعية التقليدية في كتاباتي الروائية، فالحياة إذا لم تتجدد تموت، والإنسان إذا

[1] جيلالي خلاص: الأدب الجزائري باللغة العربية من الإصلاح إلى الحداثة، الجزائر، المحافظة العامة سنة الجزائر في فرنسا، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2003، ص27.

كأي شكل أدبي لا يمكن أن تعيش إلا بهذه النزعة التجديدية التي تدخل ضمن الإطار ". [1]

وقد كان لتوظيف الأسطورة في الإبداع الروائي أوجه مختلفة فتحت المجال للاستعانة بالعديد من الأساطير الشعبية والأدبية كأسطورة عنترة بن شداد، وأسطورة شهر زاد، وأسطورة دون كيشوت...وقد وظفت أسطورة دون كيشوت في العديد من الروايات الجزائرية، التي تحول من صفحاتها دون كيشوت من شخصية أدبية إلى شخصية متخيلة، باعثة على الإبداع الأدبي، أما استلهام هذه الأسطورة فقد تنوع بين الخفاء والتجلي، حيث نلمحه باسمه وشكله مرة، ومرات أخرى يظهر فيها متخفيا تحت اسم وصفات شخصية أخرى.

وحتى نبين حضور الأسطورة آثرنا التعرض لأهم الروايات الجزائرية بالعربية والتي استثمرت أسطورة "الدون كيشوت" وهي: رواية " مصرع أحلام مريم الوديعة" وتحليلها من خلال تصوير ظهور الدون كيشوت في صفحاتها أو بأكثر دقة: كيف تجلت أسطورة دون كيشوت في هذه الرواية ؟ ولماذا وظفت؟

[1] بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية، أسئلة الكتاب والصيرورة، دار سحر تونس، 1988، ص 87.

1/ تجليات دون كيشوت في رواية " مصرع أحلام مريم الوديعة " الواسيني الأعرج:

1-ملخص الرواية:

تعد رواية " مصرع أحلام مريم الوديعة" من أهم النصوص الوائية التي أبدعها واسيني الأعرج *، والتي صدرت سنة 1984 في لبنان، وقد احتوت الرواية على 201 صفحة، وطبعت عدة مرات، سنعتمد في تقصي تجليات أسطورة دون كيشوت عل هه الطبعة جاء في رواية "مصرع أحلام مريم الوديعة " على لسان واسيني الأعرج " بعض أجدادي مفخرتي الكبرى التي تملأ في حياة، دون كيشوت أروع أسلافي سخاء".[1]

من هذه المقولة تتضح العلاقة بين دون كيشوت والمبدع، والتي تتجاوز علاقة المبدع بالعمل الأدبي، ذلك أن واسيني الأعرج يقر دائما بقرابة دون كيشوت له، وهو الأمر الذي جعله يعترف به كأحد أجداده المقربين والمؤثرين فيه، فهو لا يفوت مقال صحفي أو عمل إبداعي إلا ويذكر هذه القرابة ويصر عليها، لذل نجد أن " رواية سرفانتس" " دون كيشوت " هي أكثر الروايات حضورا في مخيال واسيني، فسيرة ميغال دي سرفانتس (1547-1616) الذي قضى خمس سنوات أسيرا في الجزائر، ورائعة " دون كيشوت " يمثلان الحاضر الأهم في مسيرة الرجل الروائية، يضاف إليها كتاب ألف ليلة وليلة الذي يمثل القراءات، قراءات الروائي، أولى عتبات الإنبهار فهو يقول: " النصوص التي اشتغلت عليها بشكل واضح يمكن استحضارها، فألف ليلة وليلة كانت حاضرة أمامي، وأنا أكتب بعض رواياتي وخاصة " فاجعة الليلة الساعة بعد الألف" مثلما كان نص

---

* واسيني الأعرج من مواليد 1954 بقرية سيدي بوجنان، من ولاية تلمسان في الغرب الجزائري.

[1]حوار مع الروائي واسيني الأعرج، حاوره كمال الرياحي، أنظر الرابط الإلكتروني

http://www.doroob.com/?p:16943

دون كيشوت حاضرا أمامي عندما أكتب حارسة الظلال ومصرع أحلا مريم الوديعة" [1(1)]، وقد احتوت الرواية على 12 فصلا مصغرا، تناول فيه واسيني الأعرج مواضيع مرتبطة بمريم والبطل الذي لا يحمل اسما، واعتمد في كل بداية فصل على ملخص مؤطر يحيل إلى ما سيرد في أحداث، أما المقدمة فكانت خاتمة للأحداث، وأحالت إليها النهاية المفتوحة...

أ-أهم موضوعات الرواية:

تصنف رواية " مصرع أحلام مريم الوديعة" معاناة رجل بدون اسم، أحت كثير مريم الوديعة، هذا الحب الذي ألحق به الكثير من المتاعب، الشقاء وجعله سجد نفسه في مواجهة مزدوجة: الأولى ضد زوجها السابق، والثانية ضد أهل المدينة الذين منعوه من حرية التعبير، ورفضوا ما يقدم من مادة شعرية، معتبرينها تضر بسياستهم في البلد، وهو ما جعله يدخل السجن ويعذب، ثم تخرج منه مشوشا، وكأنهم زرعوا في دماغه أحد الجواسيس، الذي كان يراقبه، ويمنعه من التعبير " سفيان الجزويتي " أنا الذي سميته، أدخل بدماغي يوم سحبت من مخازن الدواليب، الذي كنت أتخبأ فيه مع الزهراء الفلونطارية، وقادون إلى أقرب حفرة".[2]

تعتمد هذه الرواية على تقنية الفلاش باك، فهي تبدأ بالنهاية وهي وفاة الرجل الذي لا يحمل اسما، ثم تتحول إلى مونولوج يسرد فيه البطل كل الأشياء التي حدثت، والتي أثارته قبل وفاته خلال حديثه عن حبيبته مريم الوديعة، وعن صديقه الوحيد "حميدو"، وعن البلاد وما آل إليه أهلها، وعن السلطة المتمثلة في سفيان الجزويتي الذي سكن دماغه.

---

[1] المرجع نفسه (http://www.doroob.com/?p:16943)

[2] واسيني الأعرج: مصرع أحلام مريم الوديعة، دار الحداثة، لبنان، بيروت، ط1، 1984، ص15.

الجنون وتعني فقدان العقل، أما الأخير: فهي تدل على النهاية، والجمع بين المفردتين يعرض لنا أنه آخر ما قام به البطل، أو آخر ما سيحدث في الرواية.

ب-العنوان الثاني: الاحتراق صمتنا

وقد تكون من لفظتين: العنوان ← الاحتراق
← صمتنا

الأولى تعني الاشتعال أو الأذى الذي تلحقه النار، أما صمتنا فلفظة تدل على السكت، الجمع بين الاحتراق، والصمت يثير الكثير من التساؤل على اعتبار أن الاحتراق من شدة ألمه يولد الصراخ، أما الصمت فهو زيادة من شدة الألم.

العنوان الفرعي الأول يحيلنا إلى حضور الأسطورة، فالجنون مرتبط بالدون كيشوت الذي أفقدته كتب الفروسية عقله جعلته يعيش الوهم «...**ولم يكن " دون كيوخوته " شيخا أدبيا فحسب، بل كان كما قال عنه أحد النقاد: مثال الرجل الخيالي في جميع العصور، والكلمات التي كان ينطق بها هي أجمل ما قيل في الفروسية المثالية... وهي في الوقت ذاته ليس سوى أوهام مجنون...** » [1]

أما العنوان الثاني: فهو أيضا يوحي لنا بوجود الأسطورة، فالنهاية المحزنة " الاحتراق صمتنا " لا تختلف عن نهاية البطل الذي صارع المرض، وكانت نهايته الموت «... **إن دون كيشوت بعد أن خاطر اشيرا وكافح وتألم رأى نفسه مضطرا للعودة إلى مسقط رأسه ليموت هناك، إنها إذن رواية الانحدار والاخفاق...**[2] »

---

[1] محمود صبح: النقد المعاصر لرواية " دون كيخوتة "، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، ص 1135.

[2] جان كامب: الأدب الاسباني: تر: بهيج شعبان، ص63.

وتزخر رواية مصرع أحلام مريم الوديعة " بالحضور الأسطوري للدون كيشوت وهو ما سنبينه من خلال العناصر التالية: 1-الإخلاص في الحب، وكذلك.

2-تجليات أسطورة الدون كيشوت في الرواية:

لم يعد استحضار الشخصيات التراثية واستدعاؤها مجرد استحضار تلقائي غير واع، بل أصبح في واقع الأمر تجليا أسطوريا لتلك الشخصيات فدون كيشوت، شهر زاد... شخصيات حية مثلها مثل الشخصيات التاريخية، ترصد الوقائع وتحيط بالأوجاع، وترسم مسار الانبعاث والتحول التغيير.

تزخر رواية " مصرع أحلام مريم الوديعة " بالعديد من عناصر أسطورة " دون كيشوت " التي أسهمت في إضاءة، وإغناء أحداث الرواية، وسنحاول أن نبرز تجليات هذه الأسطورة من خلال مجمل التقنيات التي استخدمها الكاتب.

أ-العتبات النصية:

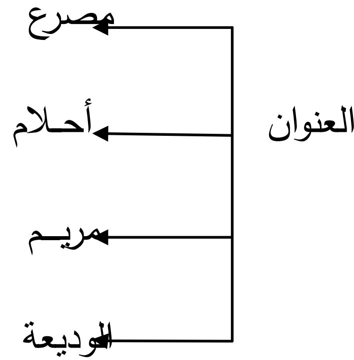
تمثل العتبات النصية بكل أنواعها (عنوان رئيسي، عناوين فرعية، إهداء، مقدمة، لازمة....) مفتاحا أولا للقارئ ليدخله إلى بيت الرواية، وسنبدأ بتحليل العنوان من أجل إبراز تماسه مع الأسطورة.

1-دراسة عنوان الرواية:

جاء العنوان جملة اسمية " مصرع أحلام مريم الوديعة " مركب من أربعة مفردات" [1]

---

[1] جان كامب: الأدب الاسباني: تر: بهيج شعبان، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص63.



فمصرع: كلمة دالة على الموت والهلاك، أما أحلام فهي تعني الآمال والطموح واللفظة، الثالثة، مريم: اسم علم امرأة، وهو أيضا بحمل أبعاد دلالية أخر توحي بالطهر والصبر، أما اللفظة الأخيرة: الوديعة: فهي صفة لمريم، من الوداع أي السكينة والوقار.

تجمع هذه الكلمات لتكون العنوان " مصرع أحلام مريم الوديعة " وهنا يبدأ التساؤل عن هذا الجمع الغريب خاصة بين ثلاثية دلالية توحي بالإشراف والطهر واحلم بتصدرها (أحلام مريم الوديعة)، أما لفظة (مصرع) فهي تدخل في متاهات التناقض والتضاد.

هذه المفارقة هي التي تشد القارئ لمطالعة الرواية التي لن يكون فيها حظ مريم الوديعة سعيدا، والتي سيتابع القارئ من خلالها قصة " الأحلام " والتركيز على هذه الأحلام، وعلى النهاية غير السعيدة " مصرع " مع صفة " الوداعة " يحيلنا إلى حضور الأسطورة دون كيشوت، لأن من أبرز سماته الوداعة، ولأنه شخصية تحركها الأحلام والطموح: «...**ففي رواية دون كيشوت لا نجد الأوهام النبيلة لرجل يغذي أحلاما باطلة، ونجد اتساع محيط أفكاره محاطا بروح مبتذلة، معجونا بالسذاجة والخبث الفلاحي، واتساع الأفكار هذا يوصل السيد الضائع في الغيوم إلى الأرض، ولكنه يوصله متأخرا دائما.** » [1]

[1] جان كامب: الأدب الاسباني: تر: بهيج شعبان، ص63.

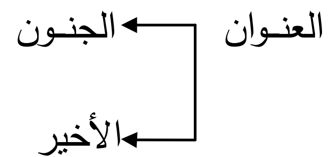
وبذلك كانت نوايا دون كيشوت الحسنة توقعه جائما في المشاكل.

2-العناوين الفرعية:

قسم الروائي نصه إلى اثني عشر فصلا ووضع لكل منها مقدمة: أما العنوان الفرعي فلم يلحقه بكل الفصول وإنما اكتفى ببداية الرواية، والتي تمثل الخاتمة كما سبق الذكر.

أ-العنوان الأول: الجنون الأخير

تكون هذا العنوان من لفظتين:



المودة والقرابة، لنصل إلى العنصر الثالث ونبين فيه الحلم والمصرع، ونختتم الدراسة بتوضيح أثر بنيتي الزمان والمكان في هذا التجلي الأسطوري.

1-الإخلاص في الطب:

نجد في رواية " مصرع أحلام مريم الوديعة " توظيف واضح للدون كيشوت، تجلى في ذلك التشابه الكبير بين البطل [الرجل الذي لا يحمل اسما] وبين الدون كيشوت، فالأول يحب مريم حبا كبيرا " **ما عبدتك إلا لأنك من نار قديسة سرقة من "مجمر"، مريم التي تحرق يوميا أقراص الخير وتغمسها في الزيت البلدي ...**" [1] إنّ مريم هنا جمعت بين القدسية و الأصالة ، فهي بالنسبة للبطل نار قدسية ترفعها إلى المأمول والروحي ، فيهواها حتى وإن ظلت بعيدة غير مرئية ، ولكنّها في الوقت نفسه تعود امرأة جزائرية لا تزال تحافظ

[1] واسيني الأعرج: مصرع أحلام مريم الوديعة، ص06.

على تراثها وأصالتها ، فيحبها البطل ثانية بزيها ومظهرها وتصرفاتها التقليدية ...ويشوق دائما لرؤيتها : " **بيننا يا صديقتي بحار جفّت ، ووديان تحوّل ماؤها إلى رمل جاف ، وسأظل ههنا ، في هذا البعد الممكن ، وغير الممكن أبكي بوحدة العاشق حتى يمتلئ البحر، وتعود ألواح المراكب الضائعة** ." [1]وبذلك تربط البطل بمريم صلة قوية ، تجعله لا يمّل الانتظار ، حتى و إن طال الفراق فهي تحيا في ذاكرته وكيانه ومهما طال غيابها زاد إيمانه بقدومها .

يصوّر مريم في حديثه الدائم عنها على أنها أجمل فتيات الدنيا ، ويقرّ دائما بإخلاصه في حبها حتى موته : " ..**أصارحك الآن يا مريم قبل أن أفقد عينك وسط ضجيج المدن الحجرية : أحبّك ، أحبّك ، أحبّك ولست أدري هل هناك بقية** ." [2]ولهذا الحبّ ما يقابله عند الدون كيشوت الذي أحبّ بدوره " دولوسينيا" ، وهذا مايتضح في ذلك الرسالة التي بعثها لها مع صديقه سانشو : "**... الذي طعن حت بلغت الطعنة اللحم الحيّ بسنان غيابك المسرف الحدّة ، والدي جرحه الحبّ في النقطة الأكثر حساسية من قلبه ، يتمنى لك العافية التي لا تنعم بها دولوسينيا دي توبوزو اللطيفة ... الملخص لك حتى الموت ،فارس ، الوجه الحزين** .."[3] وكان يبدو دون كيشوت دائم الحديث عن جمال دولوسينا "..**لأني خادم دولوسينيا دي توبوزو اللطيفة ، التي لا تضاهي مجد هذه السواحل ، وزينة وزهرة الجمال، ومنبع الحلاوة ، وبكلمة واحدة إنّها الموضوع الجدير بمدائح العالم كلّه ، مهما بولغ في هذه المدائح** .." [4]

---

[1] المصدر نفسه، ص07.
[2]

[3] سرفانتس: دون كيشوت تر: صياح الجهيم، ص85.

[4] المصدر نفسه، ص246.

شبهنا دون كيشوت لدولوسينيا بحب البطل لمريم الوديعة ، فتجلّت الأسطورة من خلال التأكيد على علاقة دون كيشوت بدولوسينيا "**.. دون كيشوت كان مثلك حين أحبّ دولوسينيا، جدّي أحبّ المرأة التي عبدها في خياله ، وأحبته حتى آخر لحظة ، قال لها أن تستقر عيناه في قلبها ، حيث يسود الخداع تختفي الحقيقة.**" [1] وهو حديث مطابق لما جاء في كتاب سرفانتس ، أحبّ دون كيشوت دولوسينيا وهي من وحي خياله حتى آخر لحظة"..**وعلى سبيل المثال نجد دون كيشوت حائرا يفكر كيف يعبّر عن خضوعه التام لمشيئة حبيبته داليسنا (وهي حبيبة لا وجود لها إلاّ في خياله) ، وكيف يكفّر عن أخطائه لكي ترضى عنه ..**" [2] وقد حارب دون ككيشوت ، واجتهد حتى ينال حب دولوسينيا، واستمر في مغامراته حتى عاد إلى صوابه ، وتختلف الحبيبتان [مريم ودولوسينيا] في أن الأولى امرأة حقيقية بينما الثانية هي من وحي الخيال و الأولى التقت بالبطل وارتبطت به، بينما الدولوسينيا لم يرها الدون كيشوت وكان حبه لها يتجاوز الشهوة " **...دون كيخوته أحبّ دولوسينيا حبّا كاملا تاما ، حبّا لا يسعى وراء اللّذة الذاتية الأنانية ، وقد وهب نفسه إليها دون أن يأمل في أن تهب نفسها إليه ...**" [3] أما القول بأنه حيث يسود الخداع تختفي الحقيقة فهي إضافة من البطل على لسان الدون كيشوت .

---

[1] واسيني الأعرج: مصرع أحلام مريم الوديعة، ص133.

[2] أمير حسنى نويرة: دون كيشوت وعنصر الصخرية في الرواية الانجليزية في القرن الثامن عشر، عالم الفكر، ص214.

[3] محمود صبح: النقد المعاصر لرواية دون كيخوته ، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، ص1133.

أثر الزمان و المكان في تجلي الأسطورة :

النظام الزمن :

الاسترجاع flash back :

"**.. الاسترجاع خاصية حكائية في المقام الأوّل ، وقد اهتم بها النقد الحديث ، نشأت في الملاحم القديمة ، وأنماط الحكي الكلاسيكي ، وتطورت بتطوّرها ثم انتقلت عبرها إلى الأعمال الروائية الحديثة ، حيث أصبح يمثل أحد المصادر الأساسية للكتابة الروائية ..**"[1]

يمكن أن يقدم الاسترجاع بعدّة طرق منها السرد التقليدي عن طريق عودي الراوي إلى الماضي ، ورواية أحداث سابقة عن طريق تقنيات تيار الوعي خاصة المونولوج و الناجاة وظف الروائي هذه التقنية في " مصرع أحلام مريم الوديعة " من متطور واحد هو البطل الذي لا يحمل اسما، وكانت أغلب استرجاعاته حول الأسطورة [دون كيشوت] "**.. حين حملت الحقيبة ، تذكرّت جدّي دون كيشوت الذي بقي هناك يقاوم البؤس ، كان هو الوحيد الذي لم يهرب ، أمّا أجدادي الآخرون فبعد سقوط غرناطة امتشقو الألواح و خاضوا غمار البحار عائدين بهزائهم وبنزعاتهم الاستعمارية الفاشلة ... الجدّ الوحيد الذي قاوم الجزوتيتيين على تربتهم وفي قلاعهم هو دون كيشوت ، كان هيدلجا طيبا ...**".

فقد جاء هذا الاسترجاع عن طريق استعمال الفعل تذكرت ، وهذا الاسترجاع ضروري وهام في الكشف عن ماضي الشخصيات ، وتفسّر جزءا كبيرا من مضمون الرواية ، وتبرّر لنا علاقة البطل بأجداده المناضلين ، وخاصة علاقته بجدّه المبتهج " دون كيشوت " ، وقد جاء الاسترجاع في أغلبة لغاية جمالية ومعرفية تضيء صفحات من تاريخ الجزائر وبلاد

[1] حميد الحمداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993 ص74.

المغرب وذلك بالتركيز على استحضار الأيام الأندلسية في عمرانها وساحاتها [1]

أبعاد التوظيف الأسطوري في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية :

اقترنت الرواية الجزائرية العربية " **مصرع أحلام مريم الوديعة** " بمرحلة العشرية السوداء أين كانت الجزائر وقتها تعيش فترة انتقالية ".. **عرفت الجزائر في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين مرحلة خطيرة كادت تذهب بوحدة المجتمع وتقوص دعائم الدولة وأسس الجمهورية ، وبسبب شلال الدّم العزيز وصوّر الدخان والدمار اليومي ، وزوال قرى بكاملها ، و الهجرة القصرية من الريف إلى المدينة ، والهجرة النوعية للمادة الرمادية إلى الخارج خاصة أوروبا . كلّ هذا مسّ المثقف الجزائري في الصميم بحيث جعله يشعر بنوع من الآم تجاج الدماغي وضيق في التّنفس ، وإصابة القلب بالجلطة ... إذن كل هذا جعل عين الأديب تتحوّل إلى عدسة كاميرا لاقطة لكل شاردة وواردة ..**" [2]

وبذلك كانت أعمال الأديب الجزائري بمثابة احتجاج رسمي عن الوضع الراهن وقد استثمرت هذه الروايات الثلاث أسطورة " دون كيشوت" من أجل ذاكرة جماعية بدأت تنهار، لأنه رغم اهتمام النقاد بدون كيشوت فإن الخمس السنوات التي قضاها في الجزائر أسيرا لم تلق اهتماما يناسبها ، وكان وراء استدعاء هذه الأسطورة تاريخيا مهّما .

1- البعد التاريخي :

ركزّت الروايات المكتوبة بالعربية وبخاصة رواية واسيني الأعرج على الأوضاع الصعبة التي يحياها الجزائري ، إثر فترة التسعينات .

---

[1] واسيني الأعرج: مصرع أحلام مريم الوديعة، ص184.

[2] جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل، ص121-122.

فقد عبّرت مصرع أحلام مريم الوديعة عن فترة الممنوع ، وعن السجن والاغتيال والكبت السلطوي الذي عاشه المثقف في تلك الفترة ، وقد اعتمدت الرواية على أسلوب نقدي غير مباشر لهذه الأوضاع [1]

2- البعد السياسي:

أحالت الرواية على بعد سياسي تمثل في الفساد السلطوي في مرحلة معينة من تاريخ الجزائر " فمصرع أحلام مريم الوديعة صوّرت بدّقة مرحلة الاستقلال الأوّلي أين هبت عاصفة الحرية لما لها وما عليها من تحرّر وفوضى ، وفي هذه الظروف تكوّنت السلطة الجزائرية ، والاختلاف هذه المرة أفسد للود قضية ، فأخذت البلاد تتراوح بين الحزب الواحد والتعددية ، وهنا انتفض واسيني الأعرج وقام بتصوير الاضطهاد الممارس على المواطن باسم الديمقراطية حيث صور له أنّه يحمل جاسوسا في دماغه رمز له باسم الجزوتي ".. **هذه كتبت في غياب السارجان سفيان الجزويتي ، كان هذا قبل أن يستقر في دماغ الرجل الذي لا يحمل اسما وقبل أن يضرب هذا الأخير عن كتابة الشعر** ." [2] والإضراب عن كتابة الشعر هو إضراب عن التعبير وقتل للحرّية باسم ديمقراطية مصطنعة

3- البعد الاجتماعي :

ارتكزت الرواية على تصوير الوضع الاجتماعي السائد ، وتجسيد المعاناة الكبيرة لأبناء الجزائر في هذه الفترة (فترة التحوّل نحو الدّيمقراطية) .

[1] المرجع نفسه، ص 238-239.

[2] واسيني الأعرج: مصرع أحلام مريم الوديعة، ص10.

وظهر البعد الاجتماعي في هذه الرواية وفي هذا اشتراك مع الرواية الأسطورة التي عمد فيها سرفانتس إلى إضاءة بعض المشاكل الاجتماعية المتفشية في عصر الإقطاعية كالسرقة والاحتيال ..وغيرها .

وللتوضيح أكثر سنحاول التطرق إلى نقاط المشتركة في التوظيف الأسطوري في الروايات تحت عنوان الثوابت و المتغيرات [1]

[1] عز الدين جلاوجي : سرد سرادق الحلم والفجيعة، ص55.

الفصل الثالث

دون كيشوت بين الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والعربية

(الثوابت والمتغيرات)

- الثوابت

-المتغيرات

1-الثوابـت:

وتبرز من خـلال موضوعات مشتركة ركزت عليها النصوص الروائية –موضوع دراسة يمكن أن تتجلى فيما يلي:

عنصر الرحلة:

أرتبط الفارس دون كيشونت بالتجوال بحثا عن المغامرة وشملت هده الجولات مختلف مقاطعات إسبانيا يصف من خلالها البطل مشقة السفربين جبالها ووديانها وسهولا "...وفي فجر يوم جميل شديد الحرارة من شهر تموز تقلد سلاحه، وامتطى حصانه، وحمل درقته، وأمسك برمحمه، وخرج من الباب الخلفي إلى السهل..." [1] وهذه الرحلة نجدها تكررت في كل الروايات الجزائرية بموضوع الدراسة، تبدأ الرحلة في الرواية " مصرع أحلام مريم الوديعة" والتي قام با البطل الذي لا يحمل اسما وكانت أقرب إلى الجولة منه إلى الرحلة فقد كان دائم الهروب من سفيان الجوزيتي الذي ظل يلاحقه متى تخيل إليه أنه من الجواسيس وقد زرع في دماغه فرحلته كانت الأخيرة نحو الموت "... **أنت راحلة إلى البلاد لا يعلم موقعها وسعة إتعابها إلاّ اللهّ ... وأنا مسافر نحو ليل اطلب من جرح هذا القلب ان أرى أنجه الجميلة ... بيننا يا صديقي بحار جفت ووديان تحوّل ماؤها إلى رمل جاف وسأظل ههنا في هذا البعد الممكن ، وغير الممكن ، أبي بوحدة العاشق ، حتى يمتلىء البحر ، وتعود ألواح الراكب الضائعة ...** " [2]

[1] سرفانتس: دون كيشوت تر: صياح الجهيم، ص12.

[2] واسيني الأعرج: مصرع أحلام مريم الوديعة، ص28.

علاقة الصداقة :

شكلت صداقة " دون كيشوت "" بسانشو " علاقة قوية ، ومتينة كان خلالها سانشو بانسا الشخصية المساعدة لدون كيشوت فقد اعانه في رحلته على الرغم من أنه لم يكن يوافقه في أرائه حيث اقتنع "سانشو" بأن دون كيشوت واهم أو مجنون في أكثر من مرة ، ولكنه واصل رحلته أكثر إلى جانبه أملا في أن يجازيه ويحسن إكرامه .

بدأت الصداقة على هذا النحو لتتحول مع نهاية الرواية إلى صداقة حقيقة أوصى فيها دون كيشوت لصديقه لسانشو جزء من ميراثه : "... أوصي لصديقي سانشو بانسا الذي كنت أدعوه موافقي أيام جنوني بمئتي ريال نقدا من ثروتي _ فوق ذلك أوصي له بكل المال الذي عهدت به إليه عندما سافرنا معا ." [1]

جدول الثوابت :

يمكننا أن نلخص جدول الثوابت من خلال الجدول التالي :

الرواية	الثوابت	علاقتها
Nedjma	علاقة حب	بين رشيد و نجمة
–مصرع أحلام مريع الوديعة	علاقة حب	بين الرجل الذي لا يحمل اسما ومريم الوديعة
دون كيشوت	عنصر الرحلة	شملت مختلف المقاطعات اسبانيا
– Nedjma	الرحلة	قادت رشيد وسي مختار إلى الحج وبور السودان

[1] عز الدين جلاوجي : سرد سرادق الحلم والفجيعة، ص26.

-مصرع أحلام مريع الوديعة	عنصر الرحلة	شملت مختلف أرجاء المدينة
دون كيشوت	الصداقة	بين دون كيشوت وسانشو بانسا
-مصرع أحلام مريع الوديعة	الصداقة	بين الرجل الذي لا يحمل اسما وحميدو

وقد عبرت هذه العناصر الرحلة و الصداقة على أهم الركائز التي مثلتها الأسطورة **دون كيشوت** حيث لا يستطيع أي منا أن ينكر هذه الركائز

أما الرحلة التي شملت مختلف أرجاء اسبانيا والتي كان لها بعد نفسي و جمالي بهروب دون كيشوت من واقعه وكذلك التعريف بأماكن الطبيعة اسبانيا الخلابة أما العنصر أكثر جذبا في هذه الأسطورة فهو علاقة صداقة التي جمعت بين " دون كيشوت "و"سانشو بانسا" والتي صورها البعض على أنها من ضروريات الرواية . ".. **بل أنّه ليصعب أن نتخيل دون كيشوت بدون خادمه ، فهما يمثلان إلى حدّ كبير وجهين اساسين للطبيعة الإنسانية فإذا كان دون كيشوت يمثل العقل ، فسانشو يمثل أو العزيزة...**" [1]

لذلك هذه الثوابت الرحلة و الصداقة من أهم الركائز الأسطورة وهي نفسها التي مثلت في التوظيف بالنسبة الرواية الجزائرية والعربية.

[1] أميرة حسن نويرة : دون كيشوت وعنصر السخرية في الرواية الإنجليزية في القرن الثامن عشر من عالم الفكر ص 216.

المتغيرات:

يبرز أول التغيرات في التوظيف الأسطوري من خلال العنوان الذي يختلف في معظم الروايات موضوع الدراسة.

بنية العناوين :

ليكن أن نكشف بعض مستويات التوظيف من خلال التوقف عند بنية العناوين المختارة وعلاقتها بالموضوع ، وقد حرص الروائيون على اعتماد بنية العنوان كمؤول دلالي يؤثر على المتلقي ويربطه بالنص الجديد والملاحظ على عناوين الروايات موضوع الدراسة أن جميعها أحالت إلى الأسطورة ولكن بدرجات متفاوتة .

وما يمكن ملاحظته أن الاستلهام تراوح بين الصريح وغير الصريح فنجد دون كيشوت قد ورد أكثر وضوحا في العناوين العربية لواسني الأعرج من خلال إدراجه ضمن العنوان الفرعي للرواية **دون كيشوت** في الجزائر وهنا تم توظيفه بصفة مباشرة .

أما بالنسبة للروايات الأخرى الفرنسية خاصة فقد اعتمدت الأسطورة من منطلق آخر، وأبعاد توظيف أخرى أسهمت في ردودها من خلال الفن الحكائي وبذلك كان الاستلهام أقرب إلى التلميح منه الى التصريح خاصة في الروايات التي ضمت عنوان واحد.

يظهر أهم الاختلاف في التوظيف بين الروايات الجزائرية الفرنسة والعربية وهو عدم التحلي المباشر للأسطورة في الروايات الجزائرية الفرنسية، فتم الاكتفاء بالإشارة إليها من خلال صفاتها وملامحها وتصرفاتها نظرا للمرحلة التي صدرت فيها هذه الروايات والآن الأهم بالنسبة لهم كان التأكيد على شرح القضية بعض النظر على الشخصيات أما في الرواية الجزائرية العربية، فهي جلها ظهر دون كيشوت في ثوب الجد المتوفي والقدوة للبطل وكان الفارس الجول والحاكم المقبل على الحياه "...**جدي دون كيشوت كان يلبس ترسانه**

من الحديد ولم ينزعج أبدا كان دون كيشوت رهيبا وأخذ الأشياء الضائعين، لم يعشق أكثر من خرجة دولوثنيبا التي نشاهد تفاصيل وجهيها الصغير".

كما أن الاقتباس من ضمن المتغيرات فقد تجلي في رواية الجزائرية المكتوبة بالعربية في **مصرع أحلام مريم الوديعة.**

أما الاقتباس في رواية مصرع أحلام مريم الوديعة " **الحرية يا سانشو هي أثمن العطايا لا شيء يقارن بها الكنوز المكنوزة في الأرض ولا الكنوز المكنوزة في أعماق البحار على الإنسان أن يجازف بحياته في سبيل الحرية أما العبودية فهي على عكس من ذلك إنما أكبر تعاسة يمكن أن تصيب الإنسان...**" [1] وفي هذا الاقتباس التأكيد على قيمة الحرية التي ظل **دون كيشوت** يدافع عنها وبذل قصارى جهده حتى يقيمها لتحقيق الخير للإنسية جمعاء.

[1] مرجع سابق، ص32.

ب-الزمان والمكان:

تعددت التقنيات الزمنية الموظفة في الأسطورة، والمقابلة للتقنيات المستخدمة في الروايات موضوع الدراسة نلاحظ أن بعثتها اعتمد على تسريع السرد من خلال تقنيي الحذف والتلخيص بالذكر روايات **Nedjma**. [1]

وكان البعض الآخر من الروايات زمنا سردا مضطرا بالتلاءم مع موضوع المتناول وهو ما وضح بصورة كبيرة في **مصرع أحلام مريم الوديعة** " لواسني الأعرج " التي اضطرب فيها الإحساس بالزمن نظرا لعدم استقرار والأمان الموجود في المدينة.

وبالمقابل نجد أن الإطار المكان كان متشابها بين بعض الروايات خاصة العربية التي اعتمدت القطاعات المفتوحة المدينة وهو ما نجده في رواية " **واسني الأعرج** " ورواية " **مصرع أحلام مريم الوديعة** ".

وفي هذه الروايتين مرحلة انتقالية، صعبة وبذلك اعتمدت إلى وصف الفساد السلطوي والأوضاع المزرية السائدة في مدينة الجزائر، في فترة تاريخية معينة.

أما نجمة **Nedjma** " **لكاتب ياسين** " فقد مثلت مدينة صعبة التمرس، وعلى سكانها أن يتموا ويعتاو على أجواءها، حيث تم التعامل مع المكان بطرقة مشابهة لبطل **سرفانتس** فكلاهما رفضه وغادره، إلا أن الاختلاف يكمن في أن الرفض في الأسطورة كان اختياريا بينما الرفض والمغادرة في " رواية ملك حداد " كان اضطراريا [النفي].

وبذلك كان للإطارين الزماني والمكاني قيمة إضافية لهذا التوظيف الأسطوري في الرواية الجزائرية بنوعيها الفرنسية اللغة والعربية.

---

[1] مرجع سابق، ص184-185.

الرواية (عنوانها)	المتغيرات	شكلها
-دون كيشوت	-لفظة مفردة	اسم شخصية اسبانيا
-نجمة "Nedjma"	-لفظة مفردة	اسم شخصية جزائرية أنثوية
-مصرع أحلام مريم الوديعة	-جملة	جملة اسمية
-دون كيشوت	-التعلق بالماضي	إرجاع زمن الفروسية
- نجمة "Nedjma"	-التعلق بالماضي	عودة الأبطال إلى الماضي من خلال مذكرات مصطفى ومذكرات رشيد...
-مصرع أحلام مريم الوديعة	-التعلق بالماضي	ذكريات الرجل الذي لا يحمل اسم
- نجمة "Nedjma"	/	/
-مصرع أحلام مريم الوديعة	-تجلي مباشر للأسطورة	حضور اسم شخصية دون كيشوت في الرواية كما ظهر الاقتباس والتضمين
-دون كيشوت	إبطاء السرد	كثرة المشاهد الحوارية والوقفات الوصفية

- نجمة "Nedjma"	إبطاء السرد	كثرة الوقفات الوصفية
-مصرع أحلام مريم الوديعة	زمن السردي غير منتظم	نظرا لعدم الاستقرار تتراوح بين تسريع السرد وإبطائه
-دون كيشوت	أماكن منفتحة	الجبال والسهول الاسبانية
Nedjma	أماكن منفتحة ومعلقة	المدن، قسنطينة وعنابة
-مصرع أحلام مريم الوديعة	أماكن منفتحة	المدينة الجزائر

حاول الروائيون الجزائريون الاستفادة قدر الإمكان من أسطورة **دون كيشوت** في بعدها الإنساني، وهو الهدف الذي لم يكن العرض منه تقليد " سرفانتس " " ...**نثر سرفانتس لا يمكن تقليده ودون كينشوت هي البرهان الأكبر، وما من شك في أنه ينقل الكثير من المهملات والحوادث الثقيلة والتكرار في اندفاع الارتجال الواثب، ولكنه يبقى رغم هذه العيوب الصغيرة نموذجا طبيعيا لا مثيل له...**" [1]

كما تحارب الروايات في توظيف جملة من الأبعاد وقد كان أبرزها [البعد التاريخي والسياسي والاجتماعي]. حيث حرصت الروايات المكتوبة بالفرنسية على تسجيل بعض الأحداث التاريخية المهمة في التاريخ، الجزائر على غرار الحوادث 08 ماي 1945. أما في بعدها السياسي والاجتماعي حرصت على أن لا تغفل مشاكل المجتمع الجزائري ونوافذ فساده.

لم ينحرف المسار كثيرا في الروايات الجزائرية العربية التي حاولت التركيز على البعد السياسي في مرحلة انتقالية لدولة الجزائر، فصورت بعدستها الفساد السلطاوي والذي تولد عنه جملة من الآفات الاجتماعية كالرشوة، والمحسوبية والتي لا زالت تلقي بظلالها إلى اليوم على البيت الجزائري.

ولقد كان توظيف هذه الأبعاد، غاية كبرى تمثلت في التصوير، الواقع بأشواكه في أن يستطيع المواطن تجسيد الداء وصف الدواء.

نصل في نهاية، إلى المقارنة جعلت من التوظيف الأسطوري ميزانا لكفتين هي الثوابت والمتغيرات ولكننا لا نستطيع ترجيح كفة على حساب أخرى، لأن الرواية الجزائرية حاولت

---

[1] جان كامب: الأدب الاسباني تر: بهيج شعبان، ص68.

دائما الوصول إلى الأهم وهو نجاح العمل الأدبي الجزائري، وتحقيقه لبعده الإنساني وبإيصاله الرسالة الهادفة.

خاتمة

أفضى بنا البحث وفي ختام الدراسة المستفيضة إبراز تجلي دون كيشوت في الرواية الجزائرية الفرنسية والعربية إلى مجموعة من النتائج المهمة والتي نوردها في ما يلي:

1-صار **دون كيشوت** " على مر العصور شخصية اشتهر مؤلفه سرفانتس الذي أبدع أصلا تميز البراءة وصفاء السريرة والسذاجة أحيانا والذكاء أحيانا أكثر، لأنه التهم الكتب إلى حدا بدا في أشبه بموسوعة أدبية وما لبث بدأ يرتكب الحمقات، فصارع طوحين الهواء. وطارد الأوهام فأنبأ بذلك- عن توديع مرحلة تاريخية آلية إلى الزوال.

2- أسهمت الدراسات الكثيرة التي قسمت حول " **دون كيشوت** " في تأسطره فقد انتقدت هذه الرواية في اسبانيا، والإنجليز وفي كامل أروبا كما ترجمت إلى كل لغات العالم حتى انتقل " **دون كيشوت** " من الرواية إلى السينما والأفلام فجعله هذا الانتقال يتحول من شخصية أدبية إلى شخصية متخيلة إبداعية.

3-حاول كل أديب أن يعيد تشكيل هذه الشخصية الأسطورية بما يتلاءم ومتطلبات المجتمع وروح العصر نهيكا عن القناعات الذاتية وظهرت تبعا لذلك الأعمال الأدبية في مختلف الأجناس الأدبية كما ألهمت شخصية **دون كيشوت** الأدباء والفنانين في كل مكان وزمان.

4- كان حضور **دون كيشوت** في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية حضورا محتشما فلم يبرز كثيرا، وكان بذلك التجلي غامض وغير مباشر والسبب في ذلك يعود إلى أن كل من كاتب ياسين ومالك ولم يكن هدفه الاستشهاد **بدون كيشوت** بقدر ما كان هدفه التحدث عن واقع الجزائر في فترة جزائرية معينة. [**الاحتلال الفرنسي**].

ولم يظهر " دون كيشوت " شخصية الهزلية المعتادة التي تثير فينا الحزن المتولد عن الضحك، ولكن شخصيته تجسدت في ملامح أبطال الروايات وهو ما جعلنا لا نرى " **دون كيشوت** " باسمه وشخصيته ولكننا بوجوده الذي يتأكد بالشبه الكبير مع أبطال الروايات موضوع الدراسة.

5- علـى عكـس الروايـة الجزائريـة المكتوبـة بالفرنسـة كـان ظهـور " **دون كيشـوت** " فـي الرواية الجزائرية العربية واضحا ومباشرا خاصة عند واسني الأعرج فقد تجرأ على استحضار **دون كيشوت** اسما وشكلا وشخصة وملامحا بل وصياغها في قالب يناسب أحداث الرواية المطروحة وهو ما جعل التجلي الأسطوري تجليا مباشرا وقد كان لواسني الأعرج غاية في استحضار شخصية **دون كيشوت،** فالرواية عنده عمل نقدي يدين التاريخي الرسمي، برمته وينتصر للتاريخي الذاتي الذي سلم في رقابة السلطة في لحظة هاربة من عمر الإنسان، فواسني هو ذلك المورسكي وميغال سرفانتس وهو الحامل دائما للخطاب الأندلوسي المقموع.

6- أكدت المقارنـة فـي النمـاذج المطروحـة علـى وجـود ثوابـت ومتغيـرات فـي التوظيـف، ولكن الأهم أن الثوابت كانت أكثر بكثير من المتغيرات حيث كانت الصداقة وحب الرحلة، من أبرز الركائز الأسطورة ومن أهم ما وظفته الروايات الجزائرية بنوعيها العربية والفرنسية، مما أكدت على الروائيين الجزائريين ينظرون إلى هذه الأسطورة من زاوية واحدة تقريبا أما المتغيرات ارتكزت على عناصر الرواية كالعنوان و الإطارين الزماني و المكاني أضف إلى ذلـك بعـض الاخـتلاف فـي التصـرف فـي علاقـات الشخصـية [**الصـداقة الغربيـة التعلـق بالماضـي**] ، وكانـت هـذه التغيرات ضرورية الاتصـال الخطـاب الروائـي الجزائري دون وقوع في فخ التقليد.

7- لم تكن الاستفادة من "**دون كيشوت**" عل مستوى الجمالي فحسب بل كانت وراءها خلفيـة أكبـر ، تؤكـد علـى أن الاسـتفادة مـن هـذه الرائعـة العالميـة نـاتج عـن العلاقـة بمـدعها **سرفانتس** بل ذهب بعض الروائيين الجزائريين إلى القول أن لنا الحق في "سرفانتس" مثل بلده اسبانيا فأسرّه في الجزائر، في حياته وطبع في إبداعاته .

8-إن الغايـة مـن تتبـع توظيـف الأسـطورة الأدبيـة **دون كيشـوت** فـي النتـاج الروائـي هـو محاولـة صـياغة حقـب تاريخيـة وتصـوير وقـائع اجتماعيـة وفضـح الفسـاد السياسـي انتشـر

كالسرطان في جسد الدولة الجزائرية و إتمام هذا البحث جعلني أقف أمام العديد من الأهداف التي حققها هذا التجلي و أثبتتها الإعانة بهذه الرائعة "**دون كيشوت**"

1-إن التراث الإنساني ومنه الأدبي موروث مشترك لا يخضع لحدود و الحواجز **فدون كيشوت** رائعة اسبانيا تمت الاستفادة منها بشكل ملحوظ في الإبداع الروائي الجزائري.

2-إن المتخيل بإمكانه أن يرفع المحلي إلى المستوى الإنساني حيث لتعانق القيم الإنسانية الباقية.

3-إن الأعمال الإنسانية الخالدة ومنها **دون كيشوت** ارتقاؤها يضفي عليها حالة قاسية تجعلها أقرب إلى الأسطورة منها إلى العمل الأدبي.

4-وفي الأخير لا نزعم بأننا أنهينا هذا الموضوع، وأعطيناه حقه من الدراسة والتحليل، فذلك مستحيل بالنظر إلى المدة الزمنية المحددة لانجاز مثل هذه المذكرات وبالإضافة، إلى الزاد المعرفي والمنهجي المتوفر، وبعد فقد بذلنا ما استطعنا من جهد وأرجو أن نكون قد وفقنا، وما توفيقنا إلا بالله وعليه توكلنا.

فهرس

قائمة المصادر والمراجع

الكتـب:

1. ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب بمكتبة الهلال، دار صادر لبنان، ط1، المجلد السابع (س.ط.ر).

2. طلال حرب: أولية النص: نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1.

3. فاروق خو رشيد: أدب الأسطورة عند العرب، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط1، 2004.

4. عبد العاطي كيوان: التناص الأسطوري في شعر إبراهيم أبو سنة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 2003.

5. عبد المجيد حنون: النقد الأسطوري، والأدب العربي الحديث، مجلة اللغة العربية عن المجلس الأعلى للغة، الجزائر، العدد الرابع عشر شتاء 2005 ص 217.

6. نظيرة الكنز: أسطورة شهرزاد في الرواية العالمية، دراسة نقدية أسطورية مقارنة في نماذج، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، قسم اللغة العربية وآدابها، 2007.

7. حول حياة الكاتب أنظر: ميغيل دي شربانتس: كهف سلمنقة تر: علي إبراهيم، الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب دمشق العدد 106، 107 ربيع رصيف 2001.

8. إسماعيل العربي: نماذج من روائع الأدب العالمي، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1686.

9. محمود صبح، النقد المعاصر لرواية دون كيخوته، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، الأردن.

10. سرفانتس: دون كيشوت تر: صياح الجهيم، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1999.

11. أميره حسن نويره: دون كيشوت وعنصر السخرية في الرواية الإنجليزية من القرن الثامن عشر، عالم الفكر، وزارة الإعلام الكويت، المجلد 13، العدد الثالث.

12. حنا عبود: من تاريخ الرواية – دراسة – من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002.

13. محمود علي مكي: الفن القصصي المعاصر في إسبانيا، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد الثالث، العدد الثالث، 1972.

14. نادية ظافر شعبان: شربانتس والقراءة المدحية لرواية دن كيشوت، مجلة العربي، وزارة الإعلام الكويت، 2010.

15. حفناوي بعلي: مقاربة في خصوصية الأدب الجزائري الحديث جامعة عنابة.

16. شربل داغر: التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، مجلة فصول الهيئة العامة للكاتب، المجلد 16 العدد الأول القاهرة 1997.

17. محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنياته وابدالاتها ج: الشعر المعاصر دار توبقال المغرب ط1 1990.

18. محمود جابر عباس: إستراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث علامات النقد، ج 46م 12 نادي جدة الأدبي، شوال 1423 هـ.

19. جلال العشري: الحرية والثورة في مسرح كاتب ياسين، مجلة المسرح الشركة القومية للتوزيع، العدد 43، القاهرة، 1967.

20. مالك حداد يس في رصيف الأزهار من يجيب تر: ذوقان قرطوط.

21. جيلالي خلاص: الأدب الجزائري باللغة العربية من الإصلاح إلى الحداثة، الجزائر، المحافظة العامة سنة الجزائر في فرنسا، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2003.

22. بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية، أسئلة الكتاب والصيرورة، دار سحر تونس، 1988.

23. واسيني الأعرج: مصرع أحلام مريم الوديعة، دار الحداثة، لبنان، بيروت، ط1، 1984.

24. جان كامب: الأدب الاسباني: تر: بهيج شعبان، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.

25. حميد الحمداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

26. جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل.

الكتب الأجنبية:

27. Eliade Mercea : Aspects du Myth, ed Gallimard, Paris, 1964.

28. Pierre Brunel : mythocoritiques ,theories et parcours puf, paris, 1968.

الموقع الإلكتروني:

29. حوار مع الروائي واسيني الأعرج، حاوره كمال الرياحي، أنظر الرابط الإلكتروني http://www.doroob.com/?p:16943

ملخص البحث:

تعتبر رواية دون كيشوت من أبرز الأعمال والروايات التي أبدع فيها سرفانتس، وتعد شخصية دون كيشوت من الشخصيات التي وجدت مكانة في الرواية الجزائرية، ومن بين الروائيين الذين اهتموا بالدون كيشوت نذكر واسيني الأعرج، وهذا الاهتمام هو الذي دفعنا للإلتفاف حول هذه الظاهرة ومحاولة البحث فيها من خلال دراستنا لدون كيشوت في الرواية الجزائرية، دراسة مقارنة في نماذج، حيث سندرس جميع المتغيرات التي طرأت على هذه الشخصية منذ أن خرجت من عباءة سرفانتس إلى أن دخلت مجال الرواية الجزائرية من باب الأسطورة الأدبية، حيث سنتطرق إلى:

- تجليات دون كيشوت في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والعربية.
- أبعاد التوظيف الأسطوري في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والعربية [الثوابت والمتغيرات].

ومن هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة (دون كيشوت في الرواية الجزائرية) أن تبين أثر هذه الأسطورة في دفع الرواية الجزائرية لتحقيق بعدها الإنساني.

الكلمات المفتاحية

دون كيشوت

الرواية الجزائرية

الأسطورة

سرفانتس

كاتب ياسين . نجمة

وسيني الأعرج . مسرع آحلام مريم الوديعة